
DEATH CARD 300
رواية
تارُوت
كريمة الشريف
ساحر الكُتب

تــاروت

رواية

كريمة الشريف



دار اكتب للنشر والتوزيع



"إن قوة الفكر قادرة على إحداث المرض

والشفاء منه"

ابن سينا



1

مدرج كلية الحقوق الواسع، عدد الطلاب في سكشن دكتور ماجد نحو ثلاثمائة طالب وطالبة، الطلاب والطالبات جالسون يتحاورون في انتظار المحاضر، بعض الطلاب والطالبات يعدون أبحاثهم ويرتبون أوراقها لتقديمها له، وبعضهم ممن راجع أبحاثهم المقدمة في مادة قانون العقوبات التي يدرسها لهم ينتظرونه ليناقش أبحاثهم ويخبرهم بدرجاتهم بها، الجميع مترقبون وصول الدكتور ماجد.

تجلس يارا في الصف الأمامي في هدوء فقد قدمت بحثها للدكتور ماجد وهي على يقين بأنها ستتفوق وتحصل على تقدير امتياز كالعادة، بجوارها تجلس مروة صامتة أيضًا فهي من أوائل الدفعة كذلك، وإن لم تكن تحظى بالترتيب الأول فهو دائمًا محجوز ليارا بناء على تفوقها رغم أن الكثير يعتقد أن ذلك التفوق قد يكون جزء منه محاباة لوالدها المستشار المعروف بالبلاد سعيد الجبالي. الضوضاء تملأ القاعة ويثرثر الجميع ما عدا يارا ومروة كعادة المتفوقين والأوائل، ففي كل عام تحصل يارا على تقدير عام جيد جدًا مع مرتبة الشرف وتحصل مروة على تقدير جيد جدًا أيضًا تالية يارا وهما الآن في عامهما الأخير، ومن المنتظر تعين يارا معيدة بكلية



الحقوق كما ترغب هي ولا يرغب والدها المستشار والذي يحلم بابنته تكمل المسيرة القضائية للنساء بمصر، أما مروة الفتاة الفقيرة ابنة الأسرة المتوسطة فلا تعلم مصيرها، ولكنها فتاة طموح ومثابرة تحلم برجل غني تعب وجمع الأموال ووصل لدرجة عالية من النجاح والراحة أو شاب قوي طموح بدأ مشواره ونجح لتلحق به وتكمل معه مسيرة النجاح.

يدخل الدكتور ماجد وهو شاب في الثلاثين من عمره، طويل، رشيق، وذو بشرة مائلة للسمار، أنيق ويعطي مظهره إيحاء بالمكر والذكاء الحاد. عيناه سوداوان حادتان تختفيان تحت عوينات طبية، وشعره ناعم قصير مصفف للوراء بعناية فائقة، يرتدي سترة كاملة من اللون الأسود وقميص أبيض أنيق بلا ربطة عنق، ويحمل حقيبة جلدية سوداء خفيفة، يضعها على الطاولة. تهدأ القاعة بمجرد دخوله ويبدأ دكتور ماجد في الحديث فورًا، فليس من عادته إلقاء السلام أو عرض مقدمات، ينظر للجمع قائلًا:

– من وأنا طالب في كلية الحقوق كنت دايمًا أفكر في تفسير المادتين 39 و40 من قانون العقوبات المصري وكنت دايما أسأل نفسي: إيه اللي ممكن يخلينا نعتبر الشخص شريك في الجريمة؟ وإيه الفرق بين اعتبار المتهم فاعل أو شريك وهل الشراكة في الفعل الجنائي تقتضي عقوبة كعقوبة الفاعل الأصلي أم أقل؟

يصمت قليلًا ثم يردف:

– أم أكثر؟

يأخذ نفسًا عميقًا للداخل ثم يكمل حديثه:

- المادة (39) بتقول.. يعد فاعلًا للجريمة:

أولًا- من يرتكبها وحده أو مع غيره.

ثانيًا- من يدخل في ارتكابها إذا كانت تتكون من جملة أعمال فيأتي عمدًا عملًا منه الأعمال المكونة لها.

ومع ذلك إذا وجدت أحوال خاصة بأحد الفاعلين تقتضي تغيير وصف الجريمة أو العقوبة بالنسبة له فلا يتعدى أثرها إلى غيره منهم وكذلك الحال إذا تغير الوصف باعتبار قصد مرتكب الجريمة أو كيفية علمه بها.

أما المادة (40) فبتقول:

يعد شريكًا في الجريمة:

أولًا- كل من حرض على ارتكاب الفعل المكون للجريمة إذا كان هذا الفعل قد وقع بناء على هذا التحريض.

ثانيًا- من اتفق مع غيره على ارتكاب الجريمة فوقعت بناء على هذا الاتفاق.

ثالثًا- من أعطى الفاعل أو الفاعلين سلاحًا أو آلات أو أي شيء آخر مما استعمل في ارتكاب الجريمة مع علمه بها أو ساعدهم بأي طريقة أخرى في الأعمال المجهزة أو المسهلة أو المتممة لارتكابها.



النهاردة عاوز أتناقش معاكم في بعض النقاط المطروحة في المادتين دول خاصة وأني قريت مجموعة الأبحاث المقدمة من بعضكم بخصوص جريمة القتل اللي ارتكبتها سماح في المنيا عام 2014 يعني مثلًا مين يقدر يشرحلي ازاي نعتبر المتهم شريك في الجريمة إذا ركزنا على عبارة:

" أو ساعدهم بأي طريقة أخرى في الأعمال الجهزة أو المسهلة أو المتممة لارتكابها"؟

عاوز شرح بشكل عام مالوش صلة بجريمة سماح.

تطوّع بعض الطلاب للإجابة عن السؤال برفع أيديهم لأعلى ومنهم يارا، نظر دكتور ماجد أمامه لمجموعة الطلاب والطالبات ثم ركّز بصره على يارا قائلًا:

– يارا، أحب اسمع رأيك.

اعتدلت يارا في جلستها ثم قالت بجدية:

– اعتبار المتهم شريكًا في الجريمة أو الفعل الجنائي يترتب على تقديمه للمساعدة للفاعل الأصلي للجريمة بأي طريقة مثل تقديم السلاح للفاعل، حراسته في أثناء ارتكاب الجريمة، تسهيل وجوده في مكان الجريمة، تغطية غيابه، تقديم وسائل مساعدة مثل حبل أو مفتاح لغلق المكان أو ما إلى ذلك.

ابتسم دكتور ماجد ورمقها بإعجاب قائلًا:

– نسيتي حاجة.



شعرت بإحراج شديد فقد علت همهمات بعض الطلبة والطالبات ممن يرون أنها لا تستحق المركز الأول، لكنها سرعان ما اختفت بنظرة قوية غير حادة من دكتور ماجد لهم فكان تأثيره كمعلم قوي بلا بذل مجهود منه، وكان قادرًا على ترك الكثير من الإحباط في نفس محدثه من مجرد نبرة صوته أو نظرة عينيه الساخرتين أو اللامباليتين.

ابتسمت في خجل وقلق مفكرة ثم قالت مرتبكة:

– إيه هي يا دكتور؟ الأسلحة؟ ما أنا قلتها.

قاطعها سريعا قائلًا:

– لا مش الأسلحة.. الإيحاء يا يارا.

– بس الإيحاء يعتبر المتهم فاعل أصلي.

– لا.. هو هنا بيندرج تحت بند الاتفاق والتحريض سواء كان مباشر أو غير مباشر.

صمتت يارا قليلًا ثم اعترضت قائلة:

– أنا من رأيي الإيحاء سواء مباشر أو غير مباشر يجعل المتهم في نظر القانون فاعل مش بس شريك.

تجهم وجهه قليلًا ثم قال بجدية:

– بس أنا مسألتكيش عن رأيك أنا طلبت شرح للعبارة القانونية.



ابتسمت يارا وهزّت رأسها قليلًا فتحرّك شعرها الأسود المنسدل تمامًا قائلة بدلال ومرح طالبة:

– لا أنت قلت بالنص: "يارا.. أحب اسمع رأيك".

ضحك دكتور ماجد ضحكة عالية تبعتها ضحكات بعض الطلاب ثم قال:

– طيب يا ستي إبقي عدّي عليا بعد السكشن علشان في كم نقطة ف البحث أحب أناقشهم معاكي. ثم بدأ يفتح حقيبته ويخرج أبحاث باقي الطلاب.

يهمس باسم في أذن وليد الجالس بجواره قائلًا:

– طبعًا هيناقشها هي في المكتب عشان تعدّل البحث وتاخد امتياز أما احنا هيشرحلنا هنا.

ينظر وليد لدكتور ماجد في امتعاض ثم يرد على عبارة باسم هامسًا:

– يا ابني هي بنت ناس، واحنا ولاد تيت، ده العادي من بنك مصر.

ينتبه لهما دكتور ماجد ثم يقرر البدء بهما مناديًا:

– وليد محمود، وباسم سمير.. انتوا عاملين نفس الشغل يا شباب ولا إيه؟ انتوا مقدمين بحثين تقريبًا متطابقين، نفس التحليل والآراء وتقريبا نفس الصياغة الركيكة.

يضع البحثين على طاولته في برود قائلًا بنبرة نصر:



- الأبحاث دي تتعاد.

تعلو خيبة الأمل وجهي الشابين ثم يستلمان بحثيهما ويعودان لمكانيهما.

يكمل دكتور ماجد النقاش مع باقي الطلاب الذين قدموا أبحاثهم له مناديًا: سارة عبد الحميد.

***

2

مكاتب الدكاترة بالدور الأول بجوار غرف السكاشن، تتوجّه يارا لغرفة الدكتور ماجد مصطحبة معها مروة، وتتجه أنظار باقي الطلاب والطالبات نحوهما، فكلتا الفتاتين مميزتان بالتفوق والجمال رغم اختلاف مظهريهما. يارا فتاة أرستقراطية من الدرجة الأولى ذات طابع أوروبي في ملابسها، بشرتها خمرية فاتحة ولها عينان خضراوان واسعتان جميلتان، وأنف دقيق وشفتان مكتنزتان، وشعر أسود ناعم منسدل كطريقة الصينيين، ترتدي ملابس متناسقة مع جسدها الرشيق المائل للنحول، ملابسها يبدو عليها البساطة والرقي فهي تقتني ملابسها بعناية من الماركات العالمية وتشتريها من أوروبا كما أنها حريصة على اختيار ملابسها جيدًا، فملابس الجامعة رقيقة وبسيطة ومحتشمة وهادئة الألوان، كما أنها تضع القليل من مستحضرات التجميل على وجهها صباحًا، أما مروة فهي فتاة جميلة أيضًا وربما كانت أجمل من يارا فبشرتها بيضاء وردية، وعيناها زرقاوان، وأنفها مستقيم مع شفتين رقيقتين، مروة ترتدي الحجاب البسيط، وملابسها تشير إلى كونها فتاة من أسرة متوسطة أو أقل لكن جسدها الملفوف والمنحوت جيدًا يطغى على رداءة الملابس. تنتمي مروة لأسرة بسيطة، والدها موظف



عادي في مصلحة البريد، ولكنه يؤكد دومًا أنهم من أصل طيب وأسرة عريقة، وتلك هي الحقيقة فهي تنتمي لأسرة ذات اسم طيب وأصل ريفي عريق، وكان لدى والدها الكثير من الأراضي والبيوت في بلدتهم بالريف، لكنه اختلط بالدراويش والفقراء من المتصوفين الذين يحيي لهم ليالي وولائم ويتبرع لهم بالبيوت والأراضي والمال، فوجد نفسه مع مرور الزمن يقاربهم فقرًا، وربما أصبح أكثرهم فقرًا. جميع أقارب مروة يعيشون في مستوى يختلف تمامًا عن مستواهم المادي، فجميعهم حرصوا على استثمار الأرض والبيوت، وأصبح لهم تجارة ومال؛ مما جعلهم يبتعدون عنهم اجتماعيًا فصارت مروة تعاني اغترابًا لهويتها وسخطًا على المجتمع بأكمله، تعرف أن والدها رجل كسول تقليدي لا طموح له، بدد ما حصل عليه من إرث في العطف على الفقراء والمساكين من أقاربهم وغيرهم فصاروا هم فقراء ومساكين بالفعل، في الوقت الذي راح إخوته وأبناء عمومته يستثمرون أموالهم، فصاروا من علية القوم بمالهم واسم عائلتهم. تتجه الفتاتان نحو غرف الدكاترة، وعند مكتب الدكتور ماجد تتوقف يارا قليلًا قائلة لمروة:

- بصي خليكي انتِ هنا وأنا هادخل أقابله وهابقا أنادي عليكي.. أوك؟

تنظر لها مروة بشيء من الحقد قائلة:

- أوك.. هاستناكي.



تطرق يارا الباب ثم تنتظر قليلًا، فيأتيها صوت ماجد يدعوها للدخول فتدلف للداخل وتغلق الباب خلفها.

- مساء الفل يا مجود.

- مساء الورد يارا، بلاش مجود والحركات بتاعتك دي هنا، إحنا ف المكتب.

تنظر له في عتاب، ثم تجلس على الكرسي المقابل لمكتبه قائلة:

- مش كفاية الكسفة الي شربتهالي ف المحاضرة قدام الكل.

يضحك قائلًا:

- بسيطة يا ستي، اعتبريه مقلب من بتوعك، المهم، البحث بتاعك رائع، لكن في جزئية عاوزك تحذفيها.

تتخذ يارا مظهرًا جادًا قائلة:

- إيه هي وليه؟

- إنتِ بعد ما عرضتي القضية وحللتي الدوافع والظروف النفسية لسماح عرضتي رأي غريب قوي ملهوش أي لازمة.

تنظر له مستفسرة في صمت.

- إنتِ قلتي إن سماح مكنش المفروض تاخد إعدام لأنها كانت تحت ضغط نفسي، وكان المفروض تعرض على جهة طبية وتعالج نفسيا ثم يخفف الحكم لمؤبد مثلًا خاصة وهي معترفة بأنها قتلته لعدم قدرتها على الطلاق؛



لأنها مسيحية والطلاق صعب ف المسيحية، وكمان عندها ولاد، لحد كده كويس قوي ومفيش مشكلة لكن قلقي ف الآخر إن لو سماح تخلّصت من الجثة بشكل أفضل كان ممكن محدش يعرف ومتتحاكمش أصلًا وقلقي إنها كان المفروض تحط الجثة ف الحمام وتحلّلها بالجير الحي ومواد كيميائية تانية ذكرتيها بالتفصيل بدال ما تقطعها وترميها ف الخرابة..إيه الي خلاكي تفكري كده؟ وليه حاسه إن سماح مظلومة مثلا؟

صمتت يارا ثم قالت:

– لا أبدًا، أنا بس تخيَّلت لو هي عملت كده فعلًا وبصراحة حاسّة إنها بريئة لأنها واقعة تحت اضطهاد نفسي رهيب ومحدش ساعدها قبل وقوع الجريمة.

– آه، يعني لو انتِ كنتي جارتها مثلًا أو أختها كنتي قلتيلها على طريقة إخفاء الجثة العبقرية دي؟

صمتت يارا تمامًا ثم قالت:

– مش عارفة، لأ طبعًا، إيه الكلام ده؟

– فلنفرض إنك قريبتها ولـمّحتيلها بده، تعتبري هنا فاعل ولا شريك؟

ضحكت يارا، ولكن خامرها شعور غريب بالخوف من ماجد فقالت بهدوء:

– شريك حسب تفسيرك للمادة 39 و40 من قانون العقوبات.



انحنى على مكتبه قليلًا ليقترب بوجهه منها، وثبّت عينيه في عينيها قائلًا:

- وفاعل أصلي حسب رأيك.

ابتعدت عنه ثم قالت كمن تذكّر شيئًا مهمًا:

- يووو مروة واقفه برّه من بدري، أناديها لو تحب تناقشها ف بحثها لأنك ملحقتش ف السكشن.

نظر لها في هدوء ثم ابتسم:

- مروة!!.. لأ خدي بس بحثك وعدّليه وهاتيه تاني.

أخذت منه أوراق البحث ثم قالت:

- هتيجي الحفلة يوم الخميس؟ عندي جلسة تاروت..

- تاروت؟

إيه مش عاوز تعرّف حظك؟

راقته الفكرة خاصة، وقد حكت له يارا كثيرًا عن جلسات التاروت التي تُقيمها، وغموض العرّافة التي تقرأ البطاقات.

- مش عارف هاشوف، واكلمك فون، سلّمي على بابا.

- الله يسلّمك، باي.

تبادلوا نظرات لا معنى لها، ثم خرجت يارا من الباب وهي ما زالت مرتبكة، قابلتها مروة بعيون قاسية متسائلة فقالت يارا ببرود:

- يالاّ بينا مش هيناقشك عنده محاضرة.

صمتت مروة ثم توجها صامتتين للكافيتريا لتناول مشروبًا باردًا لحين موعد المحاضرة التالية.

***

3

شارع قديم في منطقة شعبية، المجاري تملأ المكان بالماء القذر، أطفال واهمون بأن تلك المياه وُضعت لإضفاء شيء من المرح بحياتهم، يلعبون ويتقاذفون بالطين والماء مضيفين اتساخًا لملابسهم الرثة، فتبدو وكأنها ما عاد يهمها أمرها بعد ذلك، بل تستقبل القذارة بمرح مثل مرتديها.

يقف الميكروباص الصديء بأول الشارع مهتزًا بما فيه من بشر، وكأنه يفكّكهم من بعضهم البعض من أجل التخلص من إحداهم ثم تظهر ساق بيضاء في حذاء متسخ غير لامع لكنه غير ممَزّق أيضًا، يلتهم التباع ساق الفتاة وجسدها بعينيه ممنيًا نفسه باستمناء جيد مع ذلك الجسد البض في الخيال، فيحاول الاحتفاظ بتفاصيله كاملة في عينيه وعقله، تحاول مروة النزول من الصفيحة بأقل قدر من الخسائر، فتبتعد عن التباع الذي يحاول الاحتكاك بها في أثناء نزولها كما تحاول سحب ملابسها لأسفل لكنها تفشل في تغطية ساقيها، وتنتهي عملية النزول بأقل الخسائر، فمروة هي تلك الفتاة الذكية التي دائمًا ما تكون صاحبة أقل الخسائر الممكنة، لكن الحنق يملؤها وهي تتعثر في أثناء نزولها فتمتلئ ملابسها بالطين، ولا يرحمها



الراكبون التعساء مثلها، بل يضحكون منها، وكأنهم يستكثرون جمالها وتعليمها وعزة نفسها، فهل للفقير عزة نفس؟!

يودّعها التباع قائلًا عبارات غزل الشوارع المكررة:

- أحبك يا فورتيكة، جسم يودّي القسم.

رغم قسوة الموقف تجد نفسها تبتسم في غرور فلا شيء يُسعد فتاة فقيرة أكثر من كونها جميلة مثيرة، ولو لشباب الشوارع فمن تثير شاب الشوارع قادرة على جعل أعظم الرجال وأكبرهم مركزًا مجنونًا متيمًا بها رغبةً، ففي داخل كل رجل عظيم متحفظ رجل شارع مبتذل يحلم بمتعة فريدة مع امرأة مثلها، ولكن هل لها نصيب في الحب والزواج من هؤلاء الرجال الكبار؟ لا تجد إجابة فتتوجه لعبور البركة الواسعة التي تفترش الشارع أمام إحدى عمارات المساكن الشعبية فوق عدد من الطوب كحياتها تمامًا، بركة من الطين وعدد من الطوب يماثل جمالها وتعليمها وقوة شخصيتها، لكنها تريد العبور بهم نحو الأفضل.

ترتقي السلالم المهشمة كروحها لتصل إلى الدور الرابع حيث شقتهم التي طالما كرهتها ومقتت حوائطها المغطاة بالجير المتهالك وبابها الأسود غير المطلي بالزيت حتى، تدلف للداخل حيث غرفتها وأختاها روان ورؤى، وحيث سريرها الذي يعتليه سرير روان فتخلع ملابسها في سرعة لتبدلها وتغتسل سريعًا كما تحرص على غسل ملابسها ونشرها جيدًا فهي لا تملك سوى هذا الطقم وطقمًا آخر.



تستلقي على السرير فيرن جرس هاتفها المحمول وتجد رقم يارا:

– ألو، أيوه يا يارا، في حاجه؟

– هتيجي الحفلة يوم الخميس؟

– حفلة إيه، وزفت إيه لا مش هاجي، مش بابقى مبسوطه ف الجو بتاعكم ده ومعنديش حاجة ألبسها ومتقوليليش هاسلّفك مش باستلف هدوم من حد.

– طيب بالراحة يا بنتي في إيه؟، احنا صحاب بقالنا سنتين أهو وانا عمري ما غصبت عليكي ف حاجة بس كان نفسي تحضري جلسات التاروت الي باعملها، تجنّن والكل جاي حتى ماجد أول مرة هييجي حفلة تاروت.

اعتدلت مروة في جلستها ثم قالت:

– ماجد جاي؟

– آه لسة قافلة معاه، إيه هتيجي يا موزّة؟

– طيب هاشوف عندي حاجة مناسبة ألبسها وهاجي إن شاء الله بس هامشي بدري.

– بركاتك يا عم ماجد، خلاص هاعدّي آخدك الساعة 8.

– أوك، باي.



استلقت في الفراش تُفكّر في "ماجد بلال"، تعرف أنه ينحدر من أسرة متوسطة، لكن بالطبع ليس كأسرتها التي آل بها الحال للفقر فوالده صاحب تجارة، ولكنه ليس بزنس مان كما أنه لا ينحدر من أصول عريقة، فهو من أسرة عادية ميسورة الحال، ولديهم منزل محترم في منطقة هادئة محترمة، وهو ابنهم الوحيد فلم يتدهور بهم الحال مثلها هي وأخواتها الستة الذين فر منهم أخوها للعمل بالسعودية في سن العشرين،وتزوجت أختها الكبيرة في سن العشرين أيضًا بزوج فقير غير مستور كما ترى، فكيف يسمون أنفسهم بالـ"مستورين"، وهم لا يحصلون على عشر ما يتمنون وظلت هي وروان ورؤى حبيسي تلك الغرفة الصغيرة ومحمد ورامي أخواها الصغيران في الغرفة الأخرى، والوالدان بالغرفة الثالثة في الشقة الصغيرة.

سرحت تُفكر في ماجد وكيف أنه أصبح من أشهر محامي القاهرة في فترة وجيزة بذكائه ودأبه وفيما ينتظره من مستقبل باهر ونجاح ومال، تعرف أنه يريدها وبشدة، لكنه ذكي ويعرف هدفه جيدًا في الحياة، لا تستطيع فهمه وسبر أغوار نفسه، فهل هو من النوع الطموح المتسلق الذي يرغب في الزواج بمن هي أرقى منه ليعتلي المناصب العليا أم أنه من النوع التقليدي الذي يرغب في الزواج بأي أنثى غبية مريحة من نفس مستواه أم أنه مغامر وربما يتزوجها، شعرت بالحنق فلم عساه يتزوجها؟ تعلم أنها طموح وذكية وجميلة بل مثيرة أيضًا، ولها سحر خاص وتستطيع دعمه ومساعدته ليصبحا أصحاب أفضل مكتب محاماة،لكنهم الرجال الشرقيون لا أحد يفهم سياسات الزواج لديهم، فتجد الرجل يظل يحب الفتاة لسنوات ويتردد في الزواج بها؛ لكنه عندما تنتهي القصة العميقة بتركها له للزواج بالعريس الجاهز أو تركه لها لقلة المال مثلًا ثم يمر العمر ويجد



الفرصة للزواج وتواتيه الظروف، فإنه يغمض عينيه تمامًا عن الحب والرغبة ويتزوج في غضون شهر من أي شيء يدل تكوينه على وجود مبايض ورحم وما إلى ذلك من مشتملات تستدعي الزواج بلا لحظة تفكير وتردد من التي كان يعانيها مع حبيبته. فأي رجل أنت يا ماجد؟

***



4

خليط من موسيقا الروك والميتال هي تلك الموسيقا المسيطرة على الحفل في فيلا المستشار سعيد الجبالي، مجموعات من الشباب والرجال والنساء منتشرون في باحة الاستقبال الواسعة للفيلا، البوفيه أمريكي على أعلى مستوى والإضاءة قوية والحفل لا ينقصه شيء، تدخل يارا ممسكة بيد مروة للداخل من الباب الكبير ثم تندمج يارا مع الموسيقا وتترك مروة:

– مع نفسِك يالا انتشري.

التفتت مروة حولها باحثة عن ماجد لكن يبدو أنه لم يصل بعد، الكثير من العيون تتطلع إليها، كانت رائعة في تلك الليلة فقد اختارت ثوبًا من أثواب والدها القديمة المركونة في دولابها ولم ترتدِها كثيرًا وربما لم ترتدِه أصلًا في شبابها سوى مرة أو اثنتين.

كان ثوبًا أسودًا مصنوعًا من المخمل الناعم ما يسمى بالشمواه ذي رقبة عالية مطرزة بالخيوط الذهبية ما زال بحالته كما هو، قامت بتضييقه قليلًا وجعله يحتضن جسدها تمامًا، ثم وضعت على وسطها حزامًا من إكسسوار ذهبي براق، ولفت شعرها في حجاب حريري قصير من اللونين



الأسود والذهبي قامت بتطريزه بنفسها ولفّته فوق رأسها ليظهر رقبتها فبدت كملكة من ملوك الأساطير القديمة بعينيها الزرقاوين وبشرتها البيضاء الناصعة التي لم تحتج إلا للقليل من التزيين البسيط الذي أضفى عليها بريقًا خاصًا، استعارت حذاء من جارتها منى ذا كعب عالٍ زادها طولًا فاكتملت الصورة وكأنها ملكة بالفعل.

نظرت حولها فوجدت يارا منهمكة مع جماعتها من الإيمو يهتزون في شيء من الحزن والشجن مع الموسيقا وملابسهم السوداء الممزقة أضفت عليهم جوًا كئيبًا غريبًا، ولكنه مُحبّب إلى حد ما، طالعتهم مروة ورأت يوسف أو جو ذلك الفتى المدلل صديق يارا، كان يرتدي بنطالًا من الجينز الأسود وقميصًا من المربعات الأسود والأبيض فوقه جاكيت قصير من الجلد الأسود ووجهه به أربع حلقات معدنية صغيرة اثنتان بأعلى الأنف واثنتان فوق الشفتين، وشعره الناعم الأسود مصفف لأعلى يسارًا ومثبت لينسدل جزء منه على جانب وجهه الأيمن.

كان ينظر لها بحدة وقوة ورغبة وكانت هي أيضًا تجد فيه شيئًا غامضًا محببًا لها وقوة تأثير غريبة وقلب طيب حنون رغم أن رأيها به لا يتعدى كونه فتى مدللًا يستحق الموت كجميع المدللين، لكن كان به شيء مثير ربما رغبته الدائمة في سماع تقريعها وسخريتها منه وتحديه ونقده اللاذع لها، كانت تجد متعة غريبة في فعل ذلك كلما تقابلوا فكأنهما في حرب متبادلة لا يلبث أن يستسلم جو في نهايتها لجمال مروة ويغازلها، نأت بوجهها عنه فلا وقت لديها اليوم لجو وتفاهته، لقد جاءت من أجل هدف آخر، ماجد.



أفاقت من تفكيرها على صيحات يارا التي تركت جمعها الحزين واستقبلت ماجد فرحة:

– مــجّوووووود وحشتني، كنت هازعل لو مكنتش جيت.

ابتسم ماجد لها ثم قبّلها على وجنتيها قائلًا:

– مــجّود بردو؟

– متخافش يا عم كل اصحابي جامعات خاصة، محدّش يعرفك هنا.

ضحك ماجد قائلًا:

– وإيه اللي رماكي على جامعات الغلابة ؟

– بابا يا سيدي قال لازم أكون خريجة جامعة عريقة.

رمقها ماجد في شيء من السخرية قائلًا:

وإيه يا بنتي جو عبدة الشيطان ده؟

تعجبت من كلامه ثم قالت:

– عبدة شيطان إيه إحنا مش جوثيك، ولا ستانيك إحنا إيمو متعرفش يعني إيه إيمو؟

– لا بصراحة وكتير كنت عاوز أسألك عن لبسك بالليل، إنتِ بتبقي حد مختلف تمامًا عن يارا بتاعة الصبح.

نظر إليها متفحصًا ملابسها الغريبة.



كانت ترتدي تنورة قصيرة للغاية مصنوعة من التلِ الأسود وتحتها جورب أسود ممزق في كثير من أنحائه، وبلوزة مخططة باللونين الأسود والرمادي ملتصقة بجسدها، وكانت تصفف شعرها الأسود ليصبح منسدلًا على جبهتها ليغطيها تمامًا ويظهر عينيها الخضراوين أسفل الكثير من الكحل وظلال الجفون السوداء وكذلك طلاء شفاه أسود اللون، والكثير من الحلقان المعدنية في وجهها وأذنيها وأنفها وشفتيها حتى طلاء أظفارها كان باللون الأسود المميز فضلًا عن الخواتم والإكسسوارات الغريبة والتي تحمل طابعًا شيطانيًا وجماجم وعظامًا فقال لها متعجبًا:

– أنا شايف بصراحة إنكم عبدة شيطان بس مش عاوزين تقولوا.

نحّته يارا جانبًا عن أصدقائها قائلة:

– تعال كده على جنب وانا هافهمك.

قدّمت له مشروبًا شفافًا، وأجلسته على أريكة جلدية، ثم جلست بجواره. نظر للشراب ثم قال:

– وده ايه ده كمان؟ إنتِ عارفة ماليش ف الشرب.

– يا عم شرب إيه؟ ده سوفت درنك، تونيك مع جنجر آيل وشوية ستيلا صغيرين.

ضحك ثم تناول الشراب فراق له.

– إيه رأيك؟

– ممتاز.



– البحث؟

– لا الكوكتيل، إيه بقا موضوع الإيمو ده عاوز أفهم؟

– عادي إيمو من إيموشن، ناس حساسين وعاطفيين شوية بيسمعوا موسيقا بتعبر عنهم وبيفضلوا العزلة أحيانًا، طريقة اللبس بتعبر عن شيء جوانا، ممكن تلاقي فينا فنانين، كتاب ورسامين ومطربين بس السواد هو اللون المفضل لينا اللون الأول والأخير لوجود الإنسان عالأرض.

تصمت وتشرد بعينيها قليلًا:

– عارف يا ماجد ليه أهل الميت بيلبسوا أسود؟ علشان السواد بيريّح الروح المرهقة التعبانة، بيعبّر عن الحزن الخالد للإنسان، عن وحدة البشر وعن الموت، عن دورة الحياة من بداية الوجود لحد الخلود.

سقطت من عينيها بعض الدموع فاستحال الكحل لسائل أسود اللون أضفى عليها تأثيرًا كاريكاتيريًا مميزًا.

نظر لها ماجد في بلاهة فكان يعتبر يارا مجرد فتاة غنية ومرفهة ليس لديها شيء يكسر الملل سوى افتعال الحزن والوحدة. لم يدرك أنها ربما كانت وحيدة بالفعل فالمستشار الجبالي لا يوليها الكثير من وقته، كما أنه رجل قاسي الطباع، متجمد المشاعر، لا يعرف أن يتحاور مع شابة مثل يارا ولا يفهم احتياجاتها العاطفية، توفيت والدتها منذ عشر سنوات، فعانت اليتم، وفقدت بذلك آخر جزءًا من العالم كان يقدم لها الحنان والاهتمام الحقيقي والرعاية الخالية من أي غرض. ظلت تبحث عن الحب



ودخلت في الكثير من العلاقات السطحية، لكنها لم تجد الرجل الذي يأسرها ويقدم لها البديل للحنان والاهتمام الذي يملأ فراغ نفسها وروحها الخاوية، ذلك الرجل السيد المطاع الذي تنقاد نحوه بلا تفكير وتسلم له روحها وعقلها لترتاح وتتوقف عن التفكير والحزن. كانت تحلم ببطل أسطوري يحتويها، ويظلل عليها ويملأ نفسها المعذبة بالأمان والراحة، لم تكن تهتم بالوسامة أو الغنى في رجل أحلامها، لكنها ودت لو كان قائدًا كبيرًا أو زعيمًا سياسيًّا أو زعيم عصابة حتى يختطفها بعيدًا، وتعيش معه حياة المغامرة كما تشاهدها في أفلام هوليوود وتقرؤها في القصص البوليسية.

في هذه الأثناء كانت مروة تستعد لمقابلة ماجد فتتأكد بين الوقت والآخر من هندامها وطلتها وتراجع في ذهنها ما يحب ماجد وما يكره وطرقها في الحصول عليه. فكانت أحيانًا تهتم به وأحيانًا أخرى تتصنع التجاهل تمامًا كما يفعل هو، كل ما يؤرقها أنهما متعادلان، فكلما جذبت يرخين وكلما أرخت يجذب، كلما اقتربت يبتعد، وكلما ابتعدت يقترب، ولم يستطع أي منهما التأثير على الآخر. الحب في رأي مروة مجرد لعبة بين عقلين وجسدين، كلاهما منجذب للآخر، وما للقلب من مكان بها فهو مجرد جزء من الجسد ويكون النصر لمن يستطع جذب الطرف الآخر أكثر، كانت تود النصر على ذلك الرجل القوي العنيد الذي يستطيع تشتيت فكرها بأسلوبه المفاجئ غير المتوقع، وطريقته في اللعب بها، أحيانًا كانت تضعف وتشعر برغبة في الاقتراب منه، والاعتراف بالحب لكنها تقرر أن تبتعد، وبذلك جعلته محيرًا منها ومؤرقًا لا يعرف: هل تحبه وتريده أم لا؟ أما ماجد فقد كان من نوع غريب من الرجال لا يظهر مشاعره أو



انفعالاته، ولم يكن يستطيع تحديد ما يريده من مروة للآن مما كان يحيرها أيضًا ويجذبها له أكثر. نظرت إليه بطرف عينها في أثناء حديثها مع جو كي تتصنع انشغالها عن ماجد الذي أدرك تمامًا ما تفعل وكان رد فعله أن تجاهلها هو الآخر أيضًا بجلوسه مع يارا.

التقت أعينهما فابتسمت له مروة وتصنّعت الانشغال مع جو مرة أخرى، لم ينتبه ماجد ليارا حيث انتقلت لغرفة بعيدة عن البهو الرئيس وراحت تطفئ الأضواء تدريجيًّا بالفيلا ثم خفتت الموسيقا ونادتهم يارا قائلة:

– البوفيه اتفتح الي حابب يتفضل وجلسة التاروت هتبدأ دلوقتي، محدّش ييجي غير الناس الي قايلين م الأول انهم عاوزين يحضروا الجلسة بليز.

ذهب معظم الحضور للبوفيه الرائع ليستمتعوا بالطعام والشراب المميز والذي تم إحضاره من الخارج في طائرات خاصة ثم تجمع بعض المدعوين المقرر حضورهم جلسة التاروت وهم يارا وجو ومروة وماجد، وكذلك سلوى هانم جارة يارا والمستشار محمود السناري صديق والد يارا وزوجته مدام ناهد.

كان وجه سلوى هانم مكفهرًا وقلقًا وراحت تفرك يديها وتنظر بعيدًا في شرود، أما المستشار محمود السناري فكان سارح الفكر متشوق للقاء العرافة يدخن سيجاره الكوبي بشراهة تدلُ على قلق شديد وتفكير عميق وراحت زوجته الشابة الجميلة تنظر له في حنق واضح.



نظر ماجد في هدوء للغرفة وراقه جوها الأسطوري والطريقة التي جهزت بها وألوانها الدافئة الشرقية الطابع. الغرفة واسعة لا تحوي أثاثًا حديثًا، بل بها بعض الطنافس على الأرض وعلى الحوائط ستائر ملونة بألوان دافئة، ومزركشة بالخرز الملون وطاولة صغيرة على الأرض تتسع لعشرة أفراد وحولها تتناثر الطنافس الوثيرة، وفرشت الغرفة بأكملها بالسجاد الإيراني الفاخر الملون بألوان ونقوش شرقية مميزة تكمل اللوحة العامة للغرفة، وعلى الحائط لوحات زيتية لفنانين عالميين بدت لامعة ومميزة وأصلية تمامًا. موسيقا موزارت خافتة تنبعث في الغرفة من مكان مجهول ورائحة بخور عربي مميز، وهناك حيث تقبع الطاولة على الأرض جلست العرافة في مشهد مهيب كأنها لوحة أخرى من اللوحات العالمية اللامعة أيضًا بوجهها وألوان ملابسها، نظر لها ماجد معجبا بها وبملابسها الملونة والمزركشة، كانت امرأة متوسطة العمر بين الثلاثين والأربعين، جميلة وما زالت تحتفظ برونق الشباب، ولها سحر خاص يميزها، سمراء ذات عينين سوداوين عربية واسعة وشعر غجري يبدو من تحت وشاح حريري مزركش فوق رأسها يعطيها مظهر العرافة المميز، ترتدي قرطين كبيرين مزركشين في أذنيها، وقرط صغير يزين أنفها الدقيق المستقيم، نظر لها ماجد قائلًا بصوت واضح:

– واو، مدام سوسوستريس.

رفعت نحوه عينيها السوداوين الكبيرين ثم ابتسمت له العرافة وشرعت تنظر لعلبة الأوراق الموضوعة على الطاولة أمامها.

نظرت يارا لماجد متعجبة:

– مدام مين؟ سوسو إيه؟

سرح ماجد قليلًا ثم قال:

– "مدام سوسوستريس، البصّارة الشهيرة.

أصابها زكام شديد، ومع ذلك فهي معروفة كأحكم امرأة في أوروبا.

لديها رزمة ورق خبيثة. ثم نظر لعلبة الورق في يد العرافة مكملًا:

على المرء أن يكون حذراً هذه الأيام"(1)

نظرت له العرافة نظرة حادة خبيثة ثم تلتها ابتسامة ماكرة ودعته للجلوس بإشارة من يدها ودعت الآخرين كذلك بنفس الإشارة.

جلس الجميع في توجس فوق السجاد والطنافس على الأرض وكانت مروة بجوار ماجد على يساره وعلى يمينه العرافة، وعلى يسار مروة جو ثم يارا بعد أن أحكمت إغلاق الباب ثم محمود الساري المستشار وزوجته ثم سلوى هانم فالعرافة.

فتحت العرافة علبتها ووضعتها على الطاولة أمامها لتخرج منها رزمة من الأوراق الملونة كتب عليها بالإنجليزية:

"The Original Raider Waite Tarot Cards"

---

(1) ت إس إليوت، الأرض الخراب.



حملق ماجد في العلبة والأوراق بإمعان ثم رأى العرافة تخرج رزمة الأوراق من العلبة ثم تفندها بيدها عدة مرات، كانت تنظر لهم واحدًا واحدًا في أثناء التفنيد ثم قدمت الرزمة لسلوى هانم قائلة بلهجتها الغجرية:

– اجسميها نصفين.

ارتعشت يد سلوى هانم وهي تمسك بالأوراق لكن حاولت الاحتفاظ بها بين يديها، وقسمتها نصفين وقدمتهما للعرافة.

وضعت العرافة القسمين على الطاولة وطلبت من سلوى هانم أن تسحب أول بطاقتين كما هما مقلوبتان على ظهريهما، سحبتهما سلوى هانم وقامت بوضعهما على الطاولة أمام العرافة.

التقطت العرافة الورقة الأولى وكشفتها وكانت ورقة "الأحمق" حيث كتب عليها The fool، لم تتحدث العرافة سريعًا، ولكنها تركت سلوى هانم تحملق في الورقة ذات الخلفية الصفراء والشمس البيضاء وهنالك فوق صخرة مرتفعة شخص يكاد يكون فتاة أو شابًّا ينظر لأعلى نحو السماء، وبجواره كلب أبيض صغير ينبح، لكنه لا يلتفت إليه بالمرة. حملقت سلوى هانم في الصورة ثم قالت العرافة:

– روح رقيقة عايشة في ظل ناس بهم رفيقة لكنها ما تعرف أي شي عن الحقيقة ملعون أبو أصل الخطيئة.



تغيّرت ملامح سلوى هانم لدهشة ورغبة في معرفة المزيد فقالت للعرافة:

– عاوزة أفهم أكتر ممكن؟

– التغيير يا خيتي أهم من البراءة، لا تصيري بالخيبة تتزيني وتقولي أحسن من فعل الجراءة، أيامك الجاية لك وانتهي م الي خاين وعايش ف الدناءة.

كادت سلوى تسألها عن المزيد لكنها صمتت بإشارة من يد العرافة تعني أن انتهى الحديث حول هذه البطاقة ثم قامت العرافة بسحب البطاقة الثانية وكشفتها، وكانت ورقة العاشقين، وكتب عليها بالإنجليزية The lovers نظرت سلوى في البطاقة، وكذلك نظر الجميع، كانت بطاقة العاشقين مزركشة بألوان عديدة يغلب عليها الأحمر والأصفر، وعليها رجل وامرأة عاريان تمامًا، وتنظر المرأة لأعلى حيث يتربع ما يشبه ملك أو إله من آلهة الأساطير ذوي أجنحة حمراء كبيرة تعلوه شمس صفراء ضخمة، ويداه فوق شجرتين إحداهما مزهرة بزهر أحمر وأصفر، والأخرى مثمرة بتفاح أحمر، لكن يلتف على جذعها ثعبان ضخم مخيف يبدو كأنه على وشك لدغ المرأة.

نظرت العرافة مليًّا للبطاقة، ثم قالت في صوت رخيم وماجد ينظر لها باهتمام وتركيز كبيرين:



- الاختيار الحاسم أفضل من طول انتظار..الحب مو مُحرّم الحرام طعم المرار.

انتظرت سلوى المزيد، لكن العرافة انتهت من قراءة أوراق سلوى هانم ثم التفتت لهم:

- مينو بعد؟

نظر كل منهم للآخر، ثم رفع جو أصبعه علامة على أنه يرغب بقراءة طالعه. قامت العرافة للمرة الثانية بتفنيد الأوراق ثم قدمتها لجو ليقسمها فقسمها نصفين متساويين تقريبًا،وقدمها للعرافة التي طلبت منه أن يسحب الورقتين بالأعلى تمامًا كما فعلت سلوى هانم ففعل.

كانت البطاقة الأولى هي بطاقة الساحر وكتب عليها بالإنجليزية The Magician وهي بطاقة ذات خلفية صفراء يتوسطها الساحر بعباءته الحمراء وردائه الأبيض الفضفاض، وعلى رأسه علامة اللانهاية، وبيده صولجان مرفوع لأعلى.

نظر جو للعرافة فقالت:

- حدّد هدفك وامشي وراه.. ممكن تخسر مرة حياة.. بس خلودك أمر أكيد.. اوعاك تبكي من التهديد.

بدا أن جو لم يستوعب ما قيل فسحبت العرافة الورقة الثانية وكانت بطاقة الرجل المشنوق وهي بطاقة ذات لون بنفسجي كئيب يتوسطها شاب معلق من رجله في جذع شجرة ورأسه لأسفل وحولها هالة من النور الأصفر، قالت العرافة:



- بدّك تحسم أمرك، مشكلتك وحدك عارف ليها الحل، ليش بتقاوم؟

طريجك واضح جدامك، اتحرك لمكانك، سيبك م العالم والناس، الحب لجلبك مش مسموح، هتعيش مجروح، وتموت مجروح.

وجم الجميع بعد سماع تلك الكلمات، وترقرقت عينا جو بالدموع، وقام مسرعًا ليغادر المكان وكان ماجد معجب بطريقة العرافة في إلقاء الكلمات المنظمة، وتعجب: هل هي تحفظ تلك الكلمات أم أنها ترتجلها؟ وهل تختار كلمات معينة لكل صورة أم أنها تتحدث بلا معرفة حقيقية وترمي كلماتها لتدهش المتحدث فحسب؟ إن طبيعة ماجد التحليلية وحياته كرجل قانون تأبي قبول مسألة قراءة الطالع، ولكنه امتلأ فضولًا واندهش لأسلوب العرافة وقوة تأثيرها فوجد نفسه منجذبًا للجلسة مترقبًا دوره لقراءة طالعه.

بعد مغادرة جو للمكان تململ الجمع وقامت يارا لتوزع عليهم أكواب القهوة العربية والمياه المعدنية التي ارتشفوها فورًا،فقد جفت حلوقهم صمتًا واستماعًا لكلمات العرافة الغريبة، وبعد ارتشاف القهوة والماء عادت العرافة لتفند الأوراق ونظرت لهم جميعًا وركزت بصرها على ماجد الذي أشار لها بأصبعه وقال:

- أنا.

نظرت له العرافة وابتسمت فبادلها الابتسام ثم فندت الأوراق وقدمتها له ليقسمها، لاحظت مروة نظراته للعرافة وكيف أنه معجب بها ومشدود لها، وأنهما يتبادلان الابتسام فقامت من الطاولة وخرجت وتبعتها يارا.



- مالك يا بنتي في إيه؟

- مش شايفه البيه مش عامل لوجودي أي حساب وقاعد يعلّق.

ضحكت يارا:

- يعلّق إيه يا بنتي هو ماجد بتاع كده؟

- مش شايفة بيبص للست سوستريس بتاعته ازاي.

- هي العرّافة مدهشة بصراحة وجميلة أنا نفسي عمالة أبص لها.

- دي ست لئيمة وكل كلامها غريب ومش مفهوم هلوسة وأوهام.

- يعني إيه مش هتخليها تقرالك؟

- لا تقرالي إيه؟ انا مش طايقاها أصلًا،أنا رايحة آكل حاجة ف البوفيه.

- طيب خُديني معاكي بقا مش معقول هاسيبك وحدك وإنتِ متعرفيش حد هنا.

- وإنتِ؟

- مش مهم بقا ما هي ممكن تبقى تقرالي ف يوم تاني أو عند حد من صحابنا.

- الله ده انتو كلكم عارفينها بقا.

- آه موضة يا بنتي تقليعة عادي يعني.

توجهنا للبوفيه وقالت مروة:

- لما نشوف آخرة تقاليعك يا ست يارا.

ضحكت يارا وقدّمت لها طبق طعام.

***

نظرت العرافة في ورقة ماجد الأولى وكانت بطاقة الزهد وكتب عليها بالإنجليزية: Temperance بدا على العرافة الدهشة والانبهار بالورقة وقالت لماجد:

- رائع ، حظك حلو كتير، معدنك غالي وأصيل، بس خلي بالك الأصيلة للأصيل والغلا للغاليين، وإن زال الجمال بيضل سوء العشرة سهم، لا تمشي ورا وهم، دربك ممهد وجدامك طريق، لاجل تمشيه بدّك رفيق يساعدك ويوصلك من غير تعب، من غير ضيق.

ابتسم ماجد معجبًا بكلام العرافة، وبدا كأنه يفهم ما قالته فقال:

- الكارت التاني بقا.

ومد يده ليكشف البطاقة لكن بادرته العرافة وسحبتها من يده بلطف، وكشفت عن وجهها، كانت بطاقة عجلة الحظ وكتب عليها بالإنجليزية: Wheel of Fortune وكانت بطاقة ملونة تتوسطها دائرة تمثل عجلة الحظ وبداخلها دائرة أصغر تشبه عجلة الرواليت ومقسمة لمثلثات عدة للحظ والخلفية زرقاء بها أربعة كائنات صفراء مجنحة، يقرأ كل منهم في كتاب. الدائرة يحملها شيطان أحمر ويدور حولها ثعبان أصفر ويعلوها كائن يشبه أبا الهول. نظرت لها العرافة في خبث ثم نظرت لماجد:



- كل شيء ما بيضل ع حالو.. المد والجزر للموج زي الحياة والموت مطلوب تعيش ف سكوت.. ما تموت مع الي يموت.. ولا تلتفت للناس.. مهما في يوم قالوا.

وجم ماجد قليلًا، وبدا عليه القلق فقد شعر بأن كلمات العرافة تذير شؤم، وأنها قد تشير لموت أحد قريب منه، وربما يكون أحد والديه، كم هو مرتبط بهما، ولا يعرف كيف يكون الحال لو مات أحدهما، أفاق من أفكاره على صوت العرافة وهي تحادث محمود السناري المستشار، كانت بيدها ورقة الإمبراطور The Emperor وهي ورقة يغلب عليها اللون الأحمر حيث يتوسطها رجل طاعن في السن يرتدي ثوبًا أحمر، ويبدو كملك أو إمبراطور فوق كرسيه الرمادي الباهت وصولجانه الصغير. نظرت العرافة للمستشار محمود وزوجته الشابة قائلة:

- تم المهمة ما عليك اللوم.. انت عزيز وسيد القوم.. بتر العطب مجدي لكن تركو يدوم.. يسمح لدود يعشش بعرشك ألف يوم.

تململت زوجته الشابة دليل عدم الفهم ويبدو أنها شعرت بعدم جدوى الجلسة، ولم تجد شيئًا مثيرًا بها، ولكن محمود السناري كان قلقًا جدًا ومتوترًا، وأعطى العرّافة كل اهتمامه، حيث كان يهز رأسه دليل الفهم، ونظر للبطاقة الثانية ليحثها على قراءتها، كانت بطاقة البرج وهي بطاقة كئيبة يغلب عليها اللون الرمادي حيث يتوسطها برج عظيم يسقط من أعلاه بشر وبداخله حريق ونيران وهناك تاج ملك ذهبي وشرار في السماء وله خلفية سوداء ومكتوب عليه بالإنجليزية The Tower ، نظرت لهما العرافة في هدوء:



- جنون، حب، يأس.. خليك ورا الحدس.. من برج عال تطل.. وتكون فوق الكل.. لو راحوا الأحبة فداك.. التاج إلك والمال.. ومحال دوام الحال

صمتت تمامًا، وقالت:

- ما عندي شيء تاني.

نظرت لزوجة المستشار لكنها كانت متوترة تمامًا:

- محمود يالاّ بينا أنا مش عاوزه أعرف حظي.

- لا.. هتقرالك ورقك.

نظر إليها في عزم وتصميم فصمتت تمامًا.

ارتعشت يدها وهي تقسم الأوراق بعد تفنيد العرافة لهم ثم سحبت أول ورقة وكانت ورقة الشيطان وكتب عليها بالإنجليزية The Devil ، عندما نظرت لها مدام ناهد زوجة المستشار محمود شهقت بصوت عال ثم قالت:

- متقريش حاجة لو سمحتي.

ثم تظاهرت بانهيار أعصابها وعلا صوتها وصممت على مغادرة المكان، كانت ورقة الشيطان مرعبة بحق فبأوسطها صورة لبافوميت (2) وتحت قدميه يقف شيطانان؛ ذكر وأنثى مسلسلين كل للآخر بسلسلة حديدية ضخمة.



استمرت مدام ناهد في الصراخ ومحاولة المغادرة لكن المستشار أصر على رؤية الورقة الثانية وصرخ بوجهها أن تصمت فقامت العرافة بكشفها، وكانت ورقة العاشقين، وكتب عليها بالإنجليزية The lovers فتظاهرت ناهد بالغضب من زوجها ثم خرجت تعدو من الحجرة.

المستشار للعرافة:

– ممكن أعرف ورقها ده معناه إيه؟

العرافة:

– القول مو قولي هي مشت واللوم مو علي لكن كل اللوم عليك.

– يعني إيه مش فاهم.

في هذه اللحظة دخلت كلٌ من يارا ومروة وكان ماجد يراقب كل شيء في فضول شديد وسلوى هانم صامتة تمامًا كتمثال حجري تفكر في شيء ما.

خرج المستشار محمود ليلحق بزوجته التي غادرت الفيللا وجلست بالخارج تنتظره في السيارة ثم خرجت سلوى هانم كالمنوّمة مغناطيسيًا للخارج وتوجهت نحو منزلها.

لف الغرفة صمت تام وعلت فقط موسيقا موزارت، وراحت العرافة تلملم أوراقها وحقيبتها الجلدية المطرزة، ونهضت من موضعها على الأرض ثم نظرت ليارا نظرة ذات مغزى، فطلبت يارا منهم الخروج من الغرفة.

خرجا ماجد ومروة من الغرفة لتسأله مروة:



- قالتلك إيه الغجرية؟

- ها؟

- ورقك بيقول إيه؟

نظر لها ماجد نظرة طويلة ثم قال:

- كلام فارغ، متاخديش ف بالك.

بدا أمامها متزنًا جدًا مما أثار حفيظتها فسألته:

- إيه رأيك فيًا النهاردة؟

- كويسة، حلوة يعني.

شعرت ببرودة رده فتركته وابتعدت وهي تقول لنفسها:

- إيه اليوم الأسود ده.

خرجتا يارا والعرافة من الغرفة حيث توجهت العرافة للخارج ليوصلها سائق الأسرة ونظرت يارا لماجد ومروة.

ماجد:

- باستأذن أنا يارا وشكرًا عالسهرة الجميلة.

- الله بس انت مكلتش حاجة، تعال البوفيه مفتوح من بدري.

- معلش اعذريني، الوقت اتأخر ووالدي ووالدتي مش متعودين أسهر بره، سلام ابقي سلّمي على بابا.

- هو مسافر بس يوصل.



- سلام.

خرج ماجد دون أن يلقي سلامًا لمروة مما جعلها تشعر بالغيظ.

يارا:

- إيه يا مروة مالك بتدخّني ليه؟ u are smoking my dear

- بادخّن من برودة أهله.

ضحكت يارا عاليا ثم قالت مروة:

- أنا كمان اتأخرت ولازم أروّح.

- الله ايه ده بقا وانا هاكمل وحدي..

نظرت مروة حولها فوجدت الكثيرين يرقصون حيث عادت الموسيقا الصاخبة واشتعل الحفل مرحا:

- أهو يا ستي معاكي الناس كلها ارقصي وهيّصي وخليني ف همي.

نظرت لها يارا في برود وتشفي قائلة:

- أوك، باي، تحبي أوصّلك؟

- طبعا، وصّليني ماقدرش آخد تاكسي.

- أوك أوك.

خرجتا مروة ويارا بسيارة يارا لتوصلها وتعود يارا للحفل مرة أخرى.

***

5

في الصعيد، محافظة سوهاج، شارع المحطة الرئيس أمام محطة القطار، فندق صغير وضعت على واجهته القديمة لافتة صغيرة سوداء بهت لونها تكاد لا ترى وكتب عليها باللون الأبيض المقشر بفعل عوامل الزمن: "لوكاندة الأمراء".

نظر المستشار محمود السناري للافتة جيدا ثم أدار محرك سيارته وحاول أن يجد لها مكانًا يستطيع أن يتركها به فاقترب منه شاب صغير بشوش الوجه:

– اتفضل يا سعادة الباشا من هنا.

استمر في القيادة وسط الزحام وتعجب من ذلك الزحام الشديد رغم أن الوقت قد تعدى منتصف الليل، قام بصف السيارة ثم نقد الشاب مبلغًا محترمًا وترجّل من سيارته، ولم ينس أن يضع على عينيه نظارته الشمسية الفاخرة ليخفي ملامحه وتوجه من فوره نحو "لوكاندة الأمراء".



في مدخل البناية الحجري القديم وجد مكتب متهالك يجلس عليه رجل عجوز شبه نائم وبجواره كوب شاي ساخن، أحكم المستشار معطفه الثقيل عليه، وقام بغلق زره جيدًا، فقد وجد أن برودة الجو لا تحتمل لا سيما، وأن مظهر العجوز يرتعش بردًا في ملابسه الخفيفة قد زاد من شعوره بالبرد.

– السلام عليكم.

انتفض العجوز وتناول كوب الشاي بسرعة، وكأن هناك من يريد سرقته:

– وعليكم السلام يا باشا، أي خدمة معاليك.

– عاوز أطلع للسيد هريدي من فضلك.

– اتفضل يا باشا هتلاقيه ف أول اوضة علي ايدك اليمين.

هم العجوز بالصعود مع المستشار لكنه أوقفه بحركة من يده، وضغط على كتفه قائلًا:

– مش عاوز حد يطلع معايا وطول ما انا فوق محدش يطلع ولا يهوب ناحية الأوضة، انت فاهم؟

هلع الرجل من طريقته وانتفض رعبًا وبردًا:

– حاضر يا سعادة الباشا، أمرك.

أخرج المستشار يده من جيبه وسال لعاب العجوز ظنًّا منه أن الرجل الفخم سينقده مبلغًا يكفيه عشاءً لمدة أسبوع، لكن المستشار أخرج منديلًا



ورقيًا جفف به وجهه والعرق الذي تصبب منه رغم برودة الطقس وانطلق يرتقي الدرجات المؤدية لغرفة السيد هريدي.

وقف أمام الغرفة يفكر برهة ثم تأكد من هندامه ووسامة طلعته المبهرة، فرغم كبر سنه التي قاربت الستين ما زال يحتفظ بوسامة ملحوظة وهيبة وجسد ممشوق قوي، وقوام فارع يجعل الرهبة تدب في قلب محدثه أيًا كان، فضلًا عن سمرته المميزة وشخصيته وهندامه ووضعه الاجتماعي الذي ظل يحافظ عليه منذ ترك بلاده في الصعيد واستقر في القاهرة مستشارًا وسياسيًا محنكًا ذا خبرة في الحصول على كل شيء وأي شيء يريده دون التفكير في الطرق المشروعة وغير المشروعة، لقد ودع عهدًا كان فيه فقيرًا وخادمًا لأبناء علية القوم، حيث كان يرافقهم في نزل الطلبة بأسيوط طوال سنوات كلية الحقوق ليتفوق عليهم جميعًا، ويعمل بالنيابة العامة ثم يصبح في ذلك الوضع المرموق الذي يجب أن يظل مرموقًا للأبد.

طرق الباب كما هو متفق عليه طرقة ثم طرقتين ثم ثلاث طرقات ثم طرقة،انفرج الباب عن شاب وسيم في أواخر العشرينيات، متوسط الطول والبنية، خمري البشرة، حليق الوجه ذي شعر أسود ناعم مصفف بعناية شديدة للخلف، ملامحه رقيقة وديعة تنم عن هدوء ورزانة ورغم صغر حجمه، لكن كانت عضلاته تظهره كلاعب كمال أجسام أو ملاكمة.

نظر له المستشار في دهشة فلم يتوقع شابًا وسيما كهذا كما أنه في غاية الأناقة التي لا تتلاءم مع الغرفة القديمة للفندق، تجول ببصره في الغرفة فوجد كذلك ما يدل على ذوق رفيع وفن وثقافة، مجموعة من الكتب



صفت فوق رف قديم، هاتف محمول حديث موصل بسماعة أذن، موقد كحول صغير عليه كنكة لعمل القهوة مصنوعة من نحاس فاخر وموشاة بنقوش مميزة، في جانب آخر من الغرفة لابتوب حديث يصدح منه صوت فيروز، وللغرفة رائحة بخور عجيبة ومميزة، تشمم المستشار رائحة البخور ونظر للسيد فقال:

– بُص عالشباك وراك، لازم افتحه عشان التهوية بس مطعم السمك اللي تحت بقا بيخلّي الريحة زفت وانا راجل ذواقة، صحيح باحب السمك لكن وقت الاسترخاء بتبقا ريحته مش حلوة بالمرة.

– ذواقة وبالمرة؟ ده انت مثقف بقا.

جلس السيد هريدي على كرسي كلاسيكي فخم وسحب كرسيًا خشبيًا قدمه للمستشار ليجلس عليه ثم شمر كمي قميصه الأسود ذي الأزرار المفتوحة من أعلى لتظهر جسدًا قويًا يافعًا، فلاحظ المستشار ساعة يد من ماركة معروفة تقدر بمبلغ كبير في ساعد السيد.

– إنت حرامي ساعات بقا؟ روليكس؟

اتكأ السيد للوراء ثم مرر أصابع يده اليمنى في شعره الأملس اللامع ونظر طويلًا في عيني المستشار نظرة قوية:

– لا يا باشا، انت كده غلطت. كله من عرق جبيني.

– إنت مش صعيدي يالا، لهجتك قاهرية، وريني بطاقتك.



فزَّ السيد من الكرسي كنمر متوحش، ثم اقترب بهدوء من المستشار وانحنى بوجهه فوق وجه المستشار، وحدق مليًّا إلى عينيه مما جعل الرجل يرتعش خوفًا وفي حركة سريعة قفز للخلف ثم غاص بكامل جسده أسفل السرير مخرجًا ما يشبه طست غسيل قديمًا مملوءًا بالملابس القديمة، وأخرج منه مسدسًا متوسط الحجم وضعه على الطاولة أمام المستشار قائلًا في هدوء مخيف:

– صعيدي وبطاقتي اهيه– ناظرًا للمسدس– مش لازم بقا تعرف قصة حياتي. اهدا كده خلينا نتفق. تشرب قهوة؟

نظر له المستشار في نفاد صبر ثم هز رأسه نافيًا:

– لا.

قام السيد في هدوء ورفع صوت فيروز وكتب بعض الكلمات في شات الفيس بوك، أعدّ القهوة ووضعها فوق الموقد وعاد ليكمل حديثه في الشات، كاد صبر المستشار أن ينفد لكنه انتظر.

عاد بعد قليل للمستشار وبيده فنجان صيني راقٍ صبٌّ به القهوة من الكنكة التي كانت تغلي فوق الموقد الصغير.

– الحمد لله الوش مظبوط.

رشف القهوة مستمتعا ثم قال:

– ها، اللي اتفق معاك قال لك عالمبلغ؟



- أيوه بس كتير قوي ربع مليون جنيه يظهر انت مش عارف بتتعامل مع مين.

- عارف وخلّي بالك ان كنت انت مستشار أنا كمان مستشار ف مجالي غير اني أساسًا مخلّص سنتين من كلية الحقوق لولا بس الظروف والواحد ممكن يتمسك كنت زماني مستشار زيّك أو أقل شوية.

انفجر في ضحك هستيري، وقام من كرسيه ليضع الفنجان على الطاولة، وأكمل حديثه على شات الفيس بوك؛ مما جعل المستشار يرتاب ويصرخ فيه بصوت منخفض:

- انت بتهبّب إيه، وبتكتب إيه لمين؟

ابتسم السيد:

- لا متخافش دي حبيبتي، دي كمان سورية متقلقش خالص.

- بصراحة انا مش مرتاح لك وحاسس إنك مش هتقدر عالعملية.

- لا هاخلص لك عالاتنين، وبالطريقة اللي انت عاوزها.

- فوق البرج، فاهم؟

- فاهم طبعًا.. جبت الصور؟

- الصور والفيديوهات على حسابات الفيس بوك بتاعتهم، هو مش إدّاك الروابط؟

- أيوه بس كنت عاوز أوضح.



- لا لا الصور اللي هتلاقيها النهارده بالليل أوضح إن شاء الله، الهانم عاملة حفلة عيد ميلادها بعد بكرة زي ما انت عارف وهتنـــزّل صور جديدة لكل صحابها اللي هيحضروا الحفلة إعلانات بقا والبيه هيكون موجود ف الحفلة يعني الاتنين صورهم قدامك، بس إوعا تلاقي المدام حلوة تعجبك قلبك يحن عليها.

ضحك السيد كثيرًا:

- الخاينة حلال فيها القتل يا باشا.

- والكلب؟

- والكلب.

عرفت المكان كويس؟

- أيوه فور سيزون نايل بلازا، حضرت حفلات كتير هناك.

نظر له المستشار بريبة غير مصدق:

- هما هيتسحبوا لوحدهم عالرووف وانت عارف طبعًا هتعمل إيه؟

- تمام.. هاخلص عالراجل بالمسدس وارميها هي من فوق. بس انت مش خايف م الفضيحة؟

- فضيحة ايه؟ أنا عاوز الكل يعرف ان انا اللي خلّصت عليهم بس طبعًا مش بشكل رسمي يعني قانونًا أنا بره اللعبة لكن لازم زي ما الكل عارف بالخيانة الكل يعرف بالقصاص.



- حلوة القصاص، تمام قوي جبت الفلوس معاك؟

- لا عبده الوسيط هيسلمك بكره الصبح ان شاء الله. اتفقنا؟

- اتفقنا يا باشا.

خرج المستشار مسرعًا من غرفة السيد لينطلق بسيارته جنوبًا ليقضي عدة أيام في الغردقة بينما عاد السيد لمغازلة حبيبته السورية على شات الفيس بوك.

***

6

على سطح الفورسيزون كان هناك رجل وامرأة في الثلاثين من العمر، غائبين في عناق طويل، وقبلة حارة، وخلفهما ليس ببعيد وقف السيد هريدي، أخرج من جيبه سيجارًا كوبيًا فاخرًا، ثم أشعله وراح يراقبهما، نظرت له المرأة عندما نفذت لأنفها رائحة السيجار القوية أما الرجل فلم يلتفت له، ابتسم السيد بهدوء ونفث دخان سيجاره ثم ألقاه بعيدًا، وراح يشاهد المرأة،وهي تبتعد عن أحضان الرجل، التفت الرجل في هدوء ووجد السيد يواجهه:

– انت مين وإيه الي مطلّعك هنا؟

لم يرد السيد، لكنه نظر للسماء وابتسم لمشهد الألعاب النارية، ثم انحنى ليعقد رباط حذائه الأسود اللامع، وهنا انتشل مسدسه من خلف ظهره داخل بنطاله بأعلاه حيث أخفاه تحت ثِنيّ شيرته وصوّبه فورًا نحو الرجل، وانطلقت الطلقة لتستقر في منتصف جبهته وضاع صوتها بين أصوات الألعاب النارية.



سقط الرجل ميتًا، وصرخت المرأة في رعب، ونظرت حولها لتجد منه مهربًا، فاقترب منها السيد في سرعة بعدما أعاد سلاحه لمخبئه، جذبها نحوه بقوة ثم نظر في عينيها نظرة طويلة وقبلها قبلة طويلة ثم جذبها من وسطها إليه بقوة واقترب بها من سور البناية وهمس في أذنها:

– مبحبش الخيانة.

وإن هي إلا لحظات وكان صراخها يعلو وهي تهوي من أعلى البرج لتلقى حتفها بالأسفل.

عاد السيد لهدوئه ثم توجه للجناح الخاص به بالفندق في سرعة، أخذ حمامًا دافئًا، وسمع طرقات على باب الغرفة حيث كانت هناك فتاة شقراء روسية من فريق الرقص بالفندق تنتظر لقاءه في شغف، وكان عليه أن يكون رقيقًا معها، لولا أنها تحب العلاقات العنيفة والرجل ذا العنفوان المميز، فقضي ليلة عشق رائعة لن ينساها كلاهما أبدًا.

وبأسفل البناية تجمهر عدد كبير من الناس وعمال الفندق ومديروه ثم جاءت الشرطة لتتسخ أقدام رجالها بدماء القتيلة التي انتشرت حمراء كالنار فوق أسفلت القاهرة الرمادي.

***

7

في سهل حشيش، يجلس المستشار محمود السناري على الشاطيء الخاص به مُمدّدًا ساقيه أمامه فوق كرسي من خشب البامبو المريح، وعلى وجهه نظارة شمسية تمنع عنه ضوء الشمس القاسي، حيث شخص ببصره نحو البحر والأفق الأزرق البراق.

ملابسه الخفيفة تهتز مع الهواء الشتوي الدافيء والذي يستنشقه بقوة ليزفره في راحة من تخلص من هموم تثقل قلبه، يطالع جريدته، يرشف بعضًا من العصير الطازج ويقرأ الخبر بتمعن:

"مقتل زوجة المستشار محمود السناري، وصديقها".

يمسك بهاتفه النقال ويجري اتصالًا عاجلًا:

– ألو أيوه يا بسام بيه، حلو قوي الشغل ده بس يعني الخبر مش ملمح لحاجة زي ما قلتلك؟

– يا افندم انا بس خايف جرايد تانية تلاقيها فرصة وتعمل فضايح، العنوان لوحده أكبر تلميح.



- امم..عندك حق بردو.. طيب أنا هاعمل اتصالاتي وانت نبّه ممنوع النشر في الموضوع ده تاني.

- تحت أمرك يا سعادة الباشا.

يغلق جواله ويسرح ببصره بعيدًا. ينظر تحت قدميه للمياه الفيروزية كعيني زوجته المنطفئتين معها الآن، أحجار وأسماك صغيرة جدًا تلعب في الماء وبعض الأصداف الصغيرة. أصبح كل شيء في نظره صغيرًا، زوجته الشابة وعشيقها ابن صديقه، البحر الواسع أمامه، العالم ومحمود السناري نفسه.

يعود بذاكرته للوراء، المياه والأسماك ذكّراه بقريته الصغيرة في مركز ساقلتة حيث نشأ وتربى بالكيتكاتة بالقرب من الترعة الواسعة وقوارب الصيد المستطيلة حيث عمل صيادًا طوال فترة طفولته ومراهقته، تعود لأنفه رائحة خبز أمه، كانت تخبز للقرية بأكملها لتستطيع الحصول على ما يكفي بصعوبة لتربيته هو وأخته شريفة بالإضافة لما يرتزق به من الصيد.

كان الصيد عمله ومتعته الخاصة، ينطلق من منزلهم الطيني على الشاطئ نحو الترعة النهرية أو البحر كما يسمونه ليستقل أحد تلك القوارب المميزة في تلك القرية البسيطة والتي هي أشبه بقوارب فينيسيا مستدقة من طرفيها ومستطيلة تكاد لا تكفي صيادين اثنين،لونت أسطحها بألوان مبهرة متعددة من طلاء زيتي رخيص، أما المياه فكما هي بكل مكان تحمل نفس الطبع الهادئ والخير الوفير، كان ينطلق مع المعلم أو الريس



فخري الذي يشق البحر بعصاه ليحصل على رزقهم اليومي ويأخذ محمود نصيبه ليساعد أمه الأرملة وأخته غير المتعلمة.

يتذكّر كلمات المعلم فخري:

- يا واد يا محمود، الصيد رزق، اصبر تنول.

يلقي الشبكة في الماء وينتظر ليخرج الصيد لامعًا منتشيًا طازجًا مستعدًا للشواء والتحمير في عدد من المطاعم الصغيرة المنتشرة على ساحل القرية تعطيها طابعًا غريبًا جذابًا للغرباء ومميزًا كذلك بطاولاتها ومقاعدها الخشبية البسيطة وطعم السمك الطازج الخارج لتوه من الماء مضافا له تتبيلة خاصة لا تجدها سوى هنالك وهنالك فقط تعلم محمود الكثير والكثير، تعلم حب الطبيعة والتفكر بها فأنت تأكل في المطعم الخشبي الصغير والبحر من خلفك والجبل القاسي الحنون أمامك، ذلك الصامت المتحدث كمحمود. تعلم الصبر فكان دائمًا يستمع لهذه الكلمة من معلمه، نعم الصيد صبر، وكانت والدته التي توفاها الله دائما تقول:

اصبر على جار السو، يا يرحل، يا تجيه داهية تاخده.

ها هو لم يصبر على زوجته وصديقها ليرحلا فقام بتجهيز الداهية لتأخذهما سويا.

ابتسم واستيقظ من أفكاره عندما جاءه الغداء سمكًا مقليًا ذا رائحة مميزة، لكنها لا تشابه ولا تنافس رائحة سمك الكيتكاتة المميزة وصفاء المياه والقلوب، فقد كان عند انتهاء النهار أحيانًا يصطحبه المعلم فخري ذلك



الرجل الريفي البسيط طيب القلب ليتناولا السمك المقلي الذي قاما بصيده وأعد لهما خصيصى عند حمدي الشاب المكافح البسيط الهادىء الذي قلما يتحدث عن الناس أو عن السياسة أو غير ذلك فالكثير من الناس هناك حكماء لدرجة الصمت.

كان المعلم فخري يشاركه الطبق كما يشاركه الصبر على الحياة وينصحه بالكثير من خبراته التي اكتسبها بالصيد والصبر على الناس واجتناب شرورهم.

شعر بالحنين للقرية التي لم يقدم لها ولأهلها الكثير، بل جحد عليهم والمعلم فخري الذي ربما كفر عن تقصيره تجاه قريته وراح يرعى أبناءه ويدعمهم بما يلزمهم من مصروفات للتعليم والمعيشة، يحن لتلك الحياة البسيطة المعقدة تمامًا كطبق السمك سهل التحضير سهل الهضم لكن هل يعلم من يأكل كم استغرق الصياد من جهد ومن صبر وكم عانى للحصول عليه؟ هو أيضًا عانى، وصبر وقدم الكثير ليصبح محمود بك السناري، ومن حقه التمتع بوجبته بلا منغصات.

يُفكّر في السيد، السيد ابن بلاده من نفس القرية، يتعجب كيف أن السيد سليل العائلة الكبيرة اعتاد الإجرام منذ صغره، بل احترفه في شبابه، لم يعرف أهله كبح جماحه وإبعاده عن طريق الجريمة وأصدقاء السوء، يفكر لماذا يفعل السيد ذلك؟ لو كان هو ابن ذات العائلة لما فكر يومًا في سلك سبل غير مشروعة لينجح، لما قدم رشوة أو اغتصب حق شخص ما في كرسي سلطة، لكنه يرى أن جرائمه قليلة، ولا تكاد تعد جرائم، ربما لو كان من عائلة كبيرة فلم يكن ليفكر في قتل زوجته الخائنة أيضًا، بل كان



ليطلقها ويتركها تذهب حيث تشاء، لم يكن القتل طبعًا من طبائعه أو جزءًا من تكوينه كالكثيرين من أبناء ونساء الصعيد.

هو ابن اليتم والفقر والحاجة والحرمان في بلاد العنصرية الكبرى، الصعيد، حيث إنك لو كنت ابن الخبازة ستسحق لا محالة، حيث إنك لو لم تملك جيشًا من رجال وأخوال وأعمام يرفعون أسلحتهم ضد من يرفع صوته عليك وجيشًا من النسوة يرفعن أصواتهن ضد من لا يعجبك بل يضربنه فستصبح مضغتهم وأضحوكتهم أو فلا خيار لك سوى العزلة والحياة داخل الحوائط.

لا يهم هناك إن كنت غنيًا أو فقيرًا، أبيض أو أسود، لكن ابن من أنت؟ هل لك عائلة كبيرة تحميك؟ هل في عائلتكم رجال مهمين، وهل لعائلتكم صوت مسموع وأسلحة عديدة؟ لم يكن له عائلة من الأساس فصادق أبناء علية القوم عندما التحق بالمدرسة الثانوية، واحتمى في حمايتهم ثم التحق بكلية الحقوق الكلية الأهم في البلدة، لم يهتم بسخرية الجميع فكان تقريبًا الخادم الوفي لأبناء المستشارين ووكلاء النيابات والساهر الحارس لهم في جامعة أسيوط والسكن الطلابي مقابل خدماتهم وحمايتهم وأموالهم أحيانًا ثم جاءت الفرصة عندما اعتلاهم جميعًا في قائمة الناجحين، تفوق وتملق وتم تعيينه بالنيابة ثم تدرج في سرعة ليعقد العديد من الصفقات التجارية الناجحة ويشارك في صفقات سلاح وآثار.

أصبح غنيًا وصديقًا للعديد من الشخصيات العامة المرموقة في الوسط السياسي ثم أصبح محمود بك السناري السياسي المرموق وصوت الدولة الأكبر وعضو العديد من الهيئات السياسية والاجتماعية. يبرر لنفسه موقفه



وقتله لزوجته وصديقها فلو كان ابن عائلة كبرى لم يُضره خيانة زوجته، ولم يكن ليشعره بضآلة حجمه، كان ليتخلص منها غير مأسوف عليها بالطلاق، لكنه لم يكن متأكدًا تمامًا من خيانتهما. هل زنت؟ لا يعرف؟ الأحاديث كثيرة حول ذلك. هناك من يقول إنهما مجرد حبيبين يتبادلان القُبل، لم يصدق هذا الرأي فالزوجة الشابة ابنة القاهرة ذات الخمسة والعشرين ربيعًا، طمعت في شاب من عمرها يشاركها تفاهاتها، فهو لم يقصر بواجباته الزوجية والجنسية تجاهها، لكنه يسأل نفسه: هل أنه أهملها ولم يكن لها صديقا؟ لم يستطع القبول بذلك قط، فمن الصعب على من مثله مصادقة امرأة خاصة ولو كانت زوجته، وكانت هي دائمة الشكوى من الوحدة والحاجة لصديق. هل لم يراعِ شعورها ورومانسيتها وفرق السن بينهما؟ هل كان انشغاله بعمله ونجاحاته الدائم سببًا في دفعها لتلك العلاقة؟ شعر بالحيرة وشابه شيء من الندم، فتذكر كلمات العرافة:

تم المهمة ما عليك اللوم.. انت عزيز وسيد القوم.. بتر العطب مجدي لكن تركو يدوم.. يسمح لدود يعشش بعرشك ألف يوم.

هل كانت تلك العرافة تعلم عنه شيئًا ما أم هي ترمي كلمات فقط؟ يعرف أن يارا ابنة صديقه المستشار الجبالي فتاة بريئة ولا تعرف عنه شيئًا، وكذلك والدها الرجل المهذب المحترم ابن الأصول.

يعود لكلمات العرافة:

"عزيز وسيد القوم".



لقد استفزته تلك الكلمات على وجه الخصوص وربما هي ما دفعه للتخلص منهما فقد كان يفكر في الأمر لشهور ولا يستطيع حسمه لكنها العرافة التي قالت:

جنون، حب، يأس.. خليك ورا الحدس.. من برج عال تطل.. وتكون فوق الكل.. لو راحوا الأحبة فداك.. التاج إلك والمال.. ومحال دوام الحال

لقد قدمت له الفكرة وهو يشعر الآن بالرضا، فحبه لزوجته كان جنونًا ويأسًا، وحتى لو لم تكن زانية فعلاقتها بابن صديقه جريمة وكانت ستؤول للزنا لا محالة يومًا ما. هو الآن فوق الجميع حقًّا، لكنه القتل، كانت تلك المرة الأولى التي يقتل فيها، فبرغم الكثير من الأفعال غير القانونية التي كان يقوم بها، لكنه لم يقتل، شعر بنشوة غريبة وفكر أنه ربما يكون القتل حقًّا طريقًا جديدًا يقوده نحو الملك والقوة. شعر بالرضا عما فعله ونحى الشعور بالندم جانبًا وغادر حنينه للقرية واستمر في مطالعة البحر والزوارق وأغمض عينيه واستسلم لنوم مريح هادئ، رأى فيه نفسه إمبراطورًا لا يستطيع أحد مخالفة أوامره.

***

8

ماجد في مدرج كلية الحقوق، يشرح للطلبة قانون العقوبات المصري ويتوقف عند المادة 32:

"إذا كون الفعل الواحد جرائم متعددة وجب اعتبار الجريمة التي عقوبتها أشد والحكم بعقوبتها دون غيرها. وإذا وقعت عدة جرائم لغرض واحد كانت مرتبطة ببعضها بحيث لا تقبل التجزئة وجب اعتبارها كلها جريمة واحدة والحكم بالعقوبة المقررة لأشد تلك الجرائم."

سرح قليلًا ثم وجد نفسه يتذكّر العرافة وتفاصيل وجهها الجميل الجذاب وكلماتها، لقد صار يفكر فيها ليل نهار وفي كلماتها الغامضة له وللجميع.

طرق الباب عبده فراش الكلية:

– ادخل.. أيوه يا عبده خير في ايه؟

يميل عليه عبده ويخبره بأن هناك مُخبرًا ينتظره في غرفة المعيدين. ينظر ماجد في ساعته ويعلن للطلبة انتهاء المحاضرة عند ذلك الحد ويخرج مع عبده حيث غرفة المعيدين فيبادره المخبر:

- السلام عليكم يا بيه مطلوب شهادة حضرتك ف النيابة.

يقدم له ورقة صغيرة فيقرؤها ماجد بتعجب وتوجُس،ثم ينظر لها مُعقبًا:

- طيب روح انت، وانا هاروح بعد ربع ساعة.

يجلس سارحًا يفكر، مقتل زوجة المستشار محمود السناري وصديق لها يوم عيد ميلادها، وهو مطلوب للشهادة بنيابة الجيزة حيث كان على معرفة بهم علاوة على أنه ممن رأوا الجني عليها بآخر أيامها.

تردّد في عقله صدى بعض الكلمات التي قالتها العرافة للزوج كما يتذكرها الآن: برج، يأس، حب، تم المهمة - توقف عندما تذكر ذلك المقطع" تم المهمة ما عليك لوم، هل للعرافة دور في هذه الجريمة؟ هل الزوجة انتحرت؟ ما المهمة التي يجب على المستشار فعلها؟ هل قتلها؟ توقف عند هذه النقطة، شعر بأنه أفرط في التفكير بدرجة كبيرة ربما تصل به للجنون، حدث نفسه بصوت مرتفع:

- إيه ده في ايه؟ إيه الأوهام دي؟ أروح أشوف التحقيق.

استقل سيارته، وتوجّه من فوره لنيابة الجيزة حيث كان وكيل النيابة صديقه، سلم عليه وجلس ثم وجد الباب يطرق والعامل يعلن عن وجود مجموعة الشهود بالخارج، نظر ماجد فوجد يارا ومروة ترتعشان خارجًا:

- معلش يا أحمد بيه ممكن بس تنادي على يارا ومروة دول تلاميذي ومروة بنت المستشار الجبالي والدنا كلنا.

- طيب خليهم يتفضلّوا.



دخلتا الفتاتان ترتعشان وكان يبدو عليهما القلق والخوف الشديدين.

ماجد:

- متخافوش مفيش حاجة ان شاء الله.

وكيل النيابة:

- هنسألكم بس شوية أسئلة عن المجني عليهم.

- يارا.. إمتى آخر مرة شفتي مدام ناهد زوجة المستشار محمود السناري؟

- في الحفلة عندي ف البيت.

- مروة؟

- أنا ماعرفهاش أصلا بس شفتها في الحفلة بردو عند يارا.

- سمعت ان الحفلة كان فيها عرافة وقراية للطالع؟

- أيوه أنا متعوّده أعمل حفلات فيها عرّافة وجلسات تاروت كتجديد يعني.

- طيب هل لاحظتي شيء غريب بين المستشار وزوجته أو في العرافة؟

- لا.

- مروة هل لاحظتي عليهم شيء غريب؟



- لا أبدًا عادي واحد ومراته بس العرافة دي ست لئيمة وبترمي كلام لكل واحد تقراله.

تدخل ماجد سريعًا:

- لا أبدًا مجرد كلام عرافات وهم وتخاريف.

نظرت له مروة غضبًا وغيظًا:

- بس تحس انها كلامها غريب.

نظر لها ماجد بقوة:

- طبيعي كلام عرافة لازم يكون غريب.

وكيل النيابة:

- طيب حد فيكم عنده علم بأي خلافات بين المجني عليها وصديقها المجني عليه أو بينها وبين زوجها أو والد صديقها وزوجها؟

رد الجميع في صوت واحد:

- لا.

وكيل النيابة:

- حد فيكم حضر عيد ميلادها اللي اتقتلت فيه؟

رد الجميع:

- لا.



وكيل النيابة:

– طيب تقدروا تتفضلوا وخدو بطايقكم معاكم.

وزّع ماجد بطاقات الهوية عليهم جميعًا وخرج مع الفتاتين.

مروة لماجد:

– دكتور ماجد، إنت ليه بتدافع عن الست دي؟ هي ست لئيمة فعلا وكلامها كلو زي تلقيح كلام او تحريض على شيء مش مفهوم.

توقف ماجد ونظر بحدة لمروة:

– إيه اللي بتقوليه ده؟ تحريض إيه وبادافع إيه؟ إيه السيناريوهات دي؟ كمان إنتِ مكملتيش الجلسة أصلًا، كل كلامها عادي فعلًا مجرد شعر.

نظر في ساعته:

– اسمحي لي يارا مضطر امشي عن ازنكم.

يارا:

– اتفضل.

أسرع بخطواته بعيدًا وكله سخط على مروة وشعر بأنه حسم أمره معها فهو لا يريدها ولا يريد حتى مجرد اللعب معها.

نظرت مروة ليارا فوجدتها واجمة وعلى وجهها إمارات الخوف والفزع:



- شفتي البيه بيدافع عن العرافة باقول لك علّقته وتلاقيه رايح لها دلوقتي.

لم تجبها يارا وسرحت بعيدًا.

- إنتِ مبترديش ليه؟

- مروه معلش أنا مش مركزة أنا هاروّح تحبي أوصّلك؟

- لا شكرًا هاركب مواصلات، سلام.

- باي.

تفرقتا وتوجهت كل منهما لمنزلها.

***

9

صفّت يارا سيارتها أمام فيلا والدها وترجلت في صمت متوجهة نحو الفيلا. فيلا المستشار الجبالي تتميز بطراز معماري مختلف عن باقي الفيلل في الزمالك فقد صممت على طراز المعمار القوطي والعمارة القوطية هو مصطلح أطلق على هذا النوع من الفن المعماري في أواخر القرون الوسطى وبخاصة من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي إلى نحو عام 1400.

ظهر اسم قوطي ونما مع مثقفي النهضة الإيطالية الذين يطلق عليهم لقب الإنسانيين وينسب اسم قوطي إلى قبائل القوط الجرمانية التي اجتاحت إيطاليا في القرن الخامس الميلادي.

يقترن الطراز القوطي بعصر إنشاء الكنيسة في أوروبا الشمالية. ويتسم هذا الطراز غالبًا بطرق إنشائية معينة كالأقواس البارزة والعقود المعمارية المضلّعة والدعائم الطائرة (الأكتاف)، إلاّ أن كلًّا من الأقواس البارزة والقناطر المضلّعة كانت موجودة في الطراز الرومانسي الذي كان منتشرًا خلال القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر الميلادي.

والفرق بين الطراز الرومانسي والطراز القوطي هو طريقة توفير المساحة. ففي الطراز الرومانسي تتحقق المساحة بوساطة جميع الفسحات بين الأعمدة وحدة وحدة لتكوين المساحة الكلية، بينما تتحقق المساحة في الطراز القوطيّ كمساحة إجمالية مقسمة إلى وحدات. (3)

بالفيلا برج ضخم بأعلاه علية مخصصة ليارا فقط كمكان خاص بها، توجهت من فورها نحو العلية المزخرفة حوائطها بالحجارة ورؤوس الحيوانات المحنطة وتحتوي نوافذ ذات زجاج ملون غير شفاف، لكنه يسمح لأشعة الشمس بالمرور من خلاله. جلست يارا وأخرجت هاتفها من حقيبتها ثم كتبت رقمًا يبدأ يسارًا ب 20 44+ ثم رد عليها الطرف الآخر، تحدثت:

– نبيل أنا خايفه، هاموت م الخوف وبابا مش هنا، الموضوع يخوف، أنا مكنتش أعرف اني هابقا متوترة كده.

– وبعدين معاكي، انا مش فاضي للدلع ده، لو مكملتيش إنتِ عارفة، متعرفينيش تاني وتنسي حد اسمه نبيل.

– طيب يا حبيبي متزعلش، أنا هاصبر بس كنت عاوزة اجيلك.. وحشتني، هاموت عليك، وانت حتى لا موجود عالفيس، ولا بتتصل فون ولا أي مكان.

– قلتلك متتصليش ومتدوريش عليا، إنتِ غبية؟ انا اللي هاتصل من هنا ورايح.

- طيب متزعلش نفسك، Im sorry baby

لم يرد الطرف الآخر.

- بيبو، زعلان لسه؟

- لأ خلاص بس مشغول، روحي دلوقتي وإياكي تتكلّمي مع حد.

- مستحيل، متقلقش، أنا بس باتلكّك عشان أسمع صوتك.

يقهقه الطرف الآخر ضاحكًا.

- بتحبني؟ قولها أرجوك وحشتني قوي.

- ما إنتِ عارفة يا ستي أقولها ليه بقا؟

- أرجوك بجد أنا باموت كل يوم، بابكي ليل نهار.

- طيب بحبك bye،love u

أغلق نبيل الهاتف، وراحت يارا في غيبوبة تفكر به وتطالع صوره على حسابه بالفيس بوك وعلى جهازها الجوال ونامت لتغط في حلم رومانسي معه.

***



10

في شقة فخمة بالزمالك، شابان في العشرينيات، أحدهما جو صديق مروة ويارا والآخر آدم، جالسان نصف عاريين في غرفة نوم آدم يلفهمها صمت طويل، ينظر آدم في غضب لجو المطرق برأسه أرضا ثم يرتدي قميصه.

– مين قالّك تدخل عليا دلوقتي وقعدت وقلعت قميصك كمان.

– وحشتني، كمان إنت عارف أنا معايا مفتاح الشقة.

– بس إنت موحشتنيش.

– إنت عارف إني وحيد وماليش حد غيرك.

– آه صحيح بأمارة يارا ومروة.

– يارا دي ماماها صاحبة إنتِ دودو.

– ومروة بنت البلد مامتها صاحبة إنتِ بردو ولا الكراشة الجديدة.

– أبدًا مفيش حاجة بيني وبينها، هي صاحبة يارا وبس.

– صاحبة يارا ولا صاحبتك.



- صدقني مفيش بيني وبينها أي علاقة ولا سكس ولا فون ولا أي شيء.

نظر له آدم نظرة قاسية:

- سكس؟ مع بنت؟ طيب خليك معاها، جايلي ليه؟

- إنت عارف أني بحبك ومتعلق بيك جدًا، اللي بيني وبينك مش سكس، أنا أصلًا عمري ما فكّرت ف السكس ولا عرفت يعني إيه موجب وسالب، إنت اللي عرّفتني على نفسي وإني سالب وإنك الموجب بتاعي. أنا باحس ف وجودك بالأمان، إنت صاحبي وأخويا وماعرفش حد ف الدنيا غيرك، أبويا وأمي ماتوا من زمان وجدي مات كمان ومليش حد، قرايبي كلهم مش مهتمين بيا ومليش اخوات.

- خلاص انت هتصدّعني بنفس القصة بتاعتك؟ عارفها يا أخي.

أجهش جو بالبكاء:

- إنت اتغيّرت خالص، إنت اللي شدتني ليك، قربتني منك وعلمتني حاجات كتير، كنت بتاخدني معاك نخرج ونسهر وتعرّفني عالناس وانت عارف إني وحيد، ومحتاج أي حد يقف معايا.

- أيوه، وأنقذتك من الانتحار ولاّ نسيت؟

- لا منسيتش. إنت الي عطفت عليّا وقرّبتني منك، أنا عمر ما حد حضنّي غيرك، محدش طبطب عليّا غيرك. مبكيتش قدام حد غيرك حتى جدّو مكانش فاضيلي.



- وانا زهقت منك ومن زنّك.. إنت خاين روح لمروة يالاّ مش عاوزك.

- لو سبتني هاموت، أنا بقالي شهر باموت كل يوم من غيرك.

اقترب جو من آدم ووضع رأسه الصغير فوق كتفه، ربّت آدم بيده القوية السمراء كتف جو ثم أجلسه على طرف السرير ورفع وجهه إليه وقبل رأسه:

- كان لازم تفهم م الأول إن العلاقة دي عمرها ما هتستمر.

- طيب خلينا صحاب، إخوات، أي شيء.

- مش هينفع.

- ليه؟

في هذه اللحظة صدح هاتف آدم يرن.

- آلو، أيوه حبيبي..لا متجيش دلوقتي، لا شوية كده وهاكلمك بس عندي موضوع يخلص، واكلمك سلام.

شعر جو بقرصة في معدته المصابة بالقرحة ثم نظر له آدم نظرة مفادها:

"كل شيء انتهى"، ارتدى جو ملابسه وخرج بهدوء من الشقة لشقتهم في نفس الحي.

***



11

طرق صبي السوبر ماركت الشقة التي يسكن بها جو أو يوسف صديق يارا ومروة ودق الجرس عدة مرات وما من مجيب، فتح باب المصعد أمام الشقة ليظهر الأستاذ سيد القاطن بجوار جو والذي كان صديق لجده الذي توفي منذ عدة سنوات وكان يحيا مع جو بنفس الشقة.

الأستاذ سيد لصبي السوبر ماركت:

– خير يا ابني في إيه؟

– مفيش بقالي يومين باخبّط ع الاستاذ لّيا عنده فلوس بس مش بيرد ومش بيمر علينا زي عادته.

تشمّم الأستاذ سيد الهواء وأظهر شعورًا بالتقزز.

– أنا شامم ريحة وحشة، تعالى نكسر الباب ليكون في مصيبة جوة.

– مصيبة؟ لا يبقي نتصل بالبوليس احسن.

– انت شايف كده؟

- آة يا بيه مالناش دعوه.

يتصل الأستاذ سيد بصديق له في قسم شرطة الجزيرة:

- حسين باشا، السلام عليكم. الشقة الي جنب مني ساكن فيها واحد ابن صديق عزيز الله يرحمو، ابن ابنو، حفيدو آه، المهم الواد بقالو كم يوم مختفي والشقة طالع منها ريحه أعوذ بالله خايف يكون مات جوه ولا في مصيبة.

تمام تمام يا باشا في انتظارك. جزاك الله كل خير.

صبي السوبر ماركت:

- طب تمام كده يا سعادة البيه أخلع أنا.

- لا تعالى هنا تخلع فين؟ استنى البوليس جاي وكده كده لو في حاجة هيجيبوك وهيسألوك، استنى احسن لك.

شعر صبي السوبر ماركت بالخوف إثر هذه التعبيرات التهديدية فقرّر الانتظار حتى يأتيّ البوليس.

مرت ربع ساعة وكأنها ساعات عديدة وكل من الأستاذ سيد وصبي السوبر ماركت يتململ في الانتظار، لكن عندما قدم رجال الشرطة لم تتهلل أساريرهم بل وجموا وكأن على رؤوسهم الطير.

- إيه الريحة دي؟ اكسر الباب يا ابني.



دفع أمين الشرطة ومعه ثلاثة مخبرين باب الشقة بقوة وعنف حتى فتح وكسر قفله ثم دلفوا جميعًا للداخل وخاطب الضابط الشاب كل من الأستاذ سيد وصبي السوبر ماركت قائلًا:

- اتفضلوا معانا.

دخلوا جميعًا للداخل وراح رجال الشرطة يفتشون المكان عن مصدر الرائحة، فتحوا باب غرفة جانبية في نهاية ممر وكان المخبرون والضابط أول من دخل:

- محدش يلمس حاجة لحد ما النيابة تيجي، هو مين اللي عرف إنه ميت؟

تحدث الضابط مخاطبا كل من صبي البقال والأستاذ سيد.

- محدش عرف يا ابني، انا بس شميت الريحة والولا سمير ده تبع السوبر ماركت بقالو يومين يخبط ومحدش يرد عليه.

- حصل الكلام ده يا سمير؟

- حصل يا باشا.

هاتف ضابط الشرطة النيابة، وما هي إلا بضع دقائق حتى حضر وكيل نيابة الجيزة والذي كان ما زال يعمل في التحقيق الخاص بقضية مقتل زوجة المستشار السناري وصديقها أعلى الفورسيزون.

عندما وصل وكيل النيابة تفرّق الجميع ليفسحوا له الممر المؤدي لغرفة جو وعندما نظر داخل الغرفة وجد شابًا جميلًا معلقًا مشنوقًا في حبل غليظ



يتدلى من مروحة السقف وهناك كرسي صغير أسفل قدميه يبدو أنه تم زحزحته بقدمي جو ليبتعد عنهما قليلًا وتسقط المشنقة.

دخل الطبيب الشرعي ورجال المباحث الجنائية وراحوا يفتشون المكان بحثًا عن أدلة ورشوا البودرة لرفع البصمات فتحدث ضابط الشرطة:

– واضح إنه انتحار، وجايز يكون مبرشم ولا حاجة.

نظر له وكيل النيابة ثم قال:

– هيبان في التحاليل والطب الشرعي هيقول كلمته بلاش نحط معطيات غير مؤكّدة.

تنحنح ضابط الشرطة ثم تحرك خارجًا ليدخن سيجارًا.

نظر وكيل النيابة في غرفة المجني عليه على الأرض فوجد مجموعة أوراق تاروت مبعثرة على الأرض وبينها ورقة المشنوق **The Hanged** ورسالة مكتوبة باللغة العربية ربما تكون بخط جو مكتوب بها:

حدّد هدفك وامشي وراه.. ممكن تخسر مرة حياة.. بس خلودك أمر أكيد.. هتعيش مجروح وتموت مجروح.

كان وكيل النيابة يفكر كثيرًا ثم هاتف ماجد:

– ازيك يا دكتور، باقول لك إيه في حادث انتحار تقريبًا هنا ف الزمالك بردو، أنا ماعرفش انت تعرف الشاب ده ولا لأ بس اللي لفت نظري لقيت ف أوضته ورق تاروت، الورق فكّرني بقصة العرّافة اللي



كانت بتشوف حظ مدام ناهد مرات المستشار السناري اللي اتقتلت من أسبوعين.

على الطرف الآخر من الهاتف كان ماجد واجمًا تمامًا، فلاذ بالصمت وهو يفكر ثم نطق أخيرًا:

– الشاب ده اسمه ايه؟

– بيقولوا له جو واسمه يوسف، أشوف لك الاسم بالكامل.

– لالا مفيش داعي بس هو انتحر ازاي؟

– مشنوق.

صمت ماجد مرة أخرى وارتسمت علامات الفزع على وجهه وراح يتذكر بعض من كلمات العرافة لجو:

هتعيش مجروح وتموت مجروح، ممكن تخسر حياة.

وشعر بتشويش كامل في رأسه ودوار يعتريه.

– ألو، ألو، دكتور ماجد.

– أيوه معاك.

– تعرفه؟

– إيه.. معنديش فكرة هو كان معانا فعلًا في الحفلة وفي جلسة التاروت شاب اسمه جو بس يعني إيه علاقة التاروت بالجرايم.

– مش عارف بس ممكن تيجي دلوقتي؟

– طيب هل ده استدعاء رسمي، ولاّ ممكن يستنى؟



- لا طبعًا براحتك شوف وراك إيه وابقى عدّي عليّا ف أي وقت وانت بردو رجل قانون وليك خبرتك ياريت تساعدني أفهم أي حاجة.

- إن شاء الله.

أغلق ماجد الهاتف المحمول وتوجّه لمنزله في شرود حيث ظل هنالك يومين يعاني دوار الرأس والصداع ولم يذهب للجامعة، كان يفكر في العرافة، وهل لها صلة بالجرائم بل هل ليارا هي الأخرى صلة؟ لكنه لم يجد إجابات لأسئلته فقرر أن يسأل يارا ويبحث عن العرافة كذلك.

***



12

ماجد يقود سيارته متوجهًا لمنزل المستشار الجبالي، يفكر في العرافة، ربما إنه يريد أن يعرف هل هناك علاقة بين العرافة وجرائم القتل؟ هل كانت على علم بظروفهم النفسية والاجتماعية؟ هل ليارا دخل في ذلك، تذكر محاضرة ما حيث سأل يارا عن المشاركة في الجريمة بالتحريض أو الإيحاء، تذكر كيف كان ردها غريبًا وكيف ذكرت في بحثها أن كان على القاتلة أن تخفي معالم الجثة حيث إنها تعد مظلومة. فكر أنه من غير المعقول أن يارا البريئة قد تشترك في شيء كهذا كما أنها فتاة غبية تافهة لا تهتم سوى بالموضات والتقاليع ليس أكثر.

عاد بذاكرته للعرافة، لقد أعجب بها جدًا، وما زال يتذكر ملامحها الجميلة وصوتها القوي، وكلماتها الرنانة، ورائحة عطرها الفرنسي" فلورا باي جوتشي" الذي يعشقه، من غير المعقول أن تكون امرأة مثل هذه مجرمة.

عرج يمينًا حيث فيلا المستشار سعيد الجبالي، وقام بصف سيارته هنالك في سرعة وعجل.



هاتف يارا لكنها لم ترد فاقترب من الفيلا ووجد البواب فباغته بالحديث:

– السلام عليكم، المستشار موجود؟

– لا والله يا بيه.

– طيب الآنسة يارا؟

– ولا الست يارا.

– طيب ممكن الاقيهم فين؟

– في المستشفى.

– ليه خير ان شاء الله؟

– الست يارا تعبانة خالص يا بيه والله.

– هما في مستشفى إيه طيب؟

– الأمريكان.

– نعم؟

– مستشفى الأمريكان يابيه.

– آه أنجلو أمريكان يعني؟

– عليك نور.

– طيب شكرًا، السلام عليكم.

شعر ماجد ببعض القلق فهاهي يارا التي يريد الحصول على معلومات منها ترقد مريضة بالمستشفى فماذا عساه فاعل.

ذهب للمستشفى فوجد المستشار سعيد موجود وكذلك مروة وخالة يارا وجميعهم في غاية القلق.

– السلام عليكم، خير إن شاء الله يا جماعة.

– السلام عليكم، أهلًا يا دكتور ماجد.

رد المستشار سعيد على ماجد.

– ألف سلامة خير إن شاء الله. إيه الحكاية؟

– نظرت له مروة نظرات حادة وقاسية ثم أجابه المستشار سعيد:

– أبدًا هي سمعت خبر انتحار جو، وكانت زعلانة قوي وبكت كتير، وبالليل وقعت مُغمي عليها، الدكتور بيقول هبوط حاد في الضغط والدورة الدموية، ربنا يستر أنا خايف عليها قوي.

– لا ألف سلامة، ربنا يستر ان شاء الله.

– الله يسلمك.

ذهب المستشار وخالة يارا للحسابات وتركا يارا وماجد بمفردهما.

نظرت مروة لماجد في حدة وقالت:

– جو مات، انتحر، ولقو عنده مجموعة التاروت زي اللي كانت بتقرا منها العرافة.



- الله يرحمه، زعلت قوي علشانه.

- غريبة.

- هي إيه الي غريبة.

- افتكرتك زعلت عشان العرافة.

سرح ماجد بعيدًا:

- هي فين العرافة بس؟

- ومالك متحسّر كده؟ وحشتك ولا إيه؟

- أبدًا بس كنت عاوز أقابلها يمكن أعرف منها أي شيء، متنسيش إنها قرت لي أنا كمان.

- الحمد لله إنها مقرتليش.

- ليه بس دي ست طيبة قوي و..

- وإيه؟ حلوة مش كده؟

- مالك يا مروة؟ إنتِ مش واخدة بالك من كلامك ولاّ إيه؟

- لا أبدًا عندك حق أنا لازم أعرف حدودي، عن اذنك.

غادرت مروة المستشفى وتوجهت لمترلها.

***



ما زال الشارع الضيق القذر ينوء بالبشر والقمامة، ما زالت درجات السلم المهشمة تستفز حذاءها، دخلت مروة المنزل لتجد والدها جالسًا في الصالة الصغيرة ومعه شاب مقبول الهيئة وملامحه هادئة، نظر إليها والدها والشاب الذي معه:

– تعالي يا مروة سلمي عالأستاذ سامي.

– السلام عليكم.

لم تمد مروة يدها بالسلام للشاب بل دخلت لغرفتها مع أخواتها وبدّلت ملابسها في هدوء ولم تلق بالًا للرجل ولا تساءلت من عساه أن يكون، فكان كل تفكيرها في ماجد، وكيف أنها لم تستطيع الحصول عليه؟ بل كيف تبدّل حاله من يوم النحس، يوم الحفلة المنحوسة؟ فلقد أصاب نحس العرافة الكثيرين ولم يتركها، ربما إنها نجت من نبوءاتها التعيسة لكن يبدو أن النحس أصاب ماجدًا وما عاد يرغبها، تمدّدت فوق سريرها، وفكّرت ربما هذا أفضل لها فهي لا تحبه في الواقع، ربما تريد زوجًا ليس أكثر، استغرقت في النوم ورأت في حلمها أنها ترتدي ثوبًا جديدًا جميلًا براقًا، وأنها لا تلقي بالًا لثوب آخر ضيق، وليس من مقاسها، رأت نفسها سعيدة واستيقظت من الحلم على صوت والدها:

– مروة إنتِ فين تعالي عاوزك.

– أيوه يا بابا أديني جايّه.

غسلت وجهها وتوجهت نحو والدها، وكانت معه والدتها مبتسمة سعيدة، جلست بجوار والدها الذي تحدّث قائلًا:



- إنتِ دلوقتي ما شاء الله عندك 21 سنة يعني عروسة.

شعرت في حديثه بنبرة تعلمها جيدًا، يبدو أن الشاب الذي رأته منذ ساعات عريسًا.

- خير يا بابا إن شاء الله.

- في واحد ابن حلال متقدم لك.

- فقير؟ بيشتغل إيه؟

- لا أبدًا هو محامي في الكويت وعنده مكتب ترجمة قانونية هناك.

- وعنده إيه كمان؟ ويعرفني منين؟

- عنده شقة هنا وعربية وبيقول شافك ف الجامعة مع أخته.

- أخته مين؟

- بيقول اخته ليلى، هي مقالتلكيش؟

- لا قالتلي بس مقالتش إنه جاي النهاردة.

- طب ايه رأيك؟ أقوله موافقين؟

- لا طبعًا خلّيه ييجي تاني، وانا هاقعد معاه واشوف.

- طيب ربنا يسهل.

دخلت غرفتها، وهاتفت ليلى صديقتها.



ليلي تنتمي لأسرة محترمة هادئة ومستواهم المادي معقول وتدرس في كلية الآداب. كانت أخبرتها من قبل أن أخيها معجب بها ولكن مروة لم تلقِ بالًا لحديثها وظنته مُزاحًا، كما أنه مر وقت طويل منذ رآها.

– ألو إزيك يا ليلى، أخوكي كان عندنا النهاردة.

– لا يا شيخه مقالليش بجد؟ كلّم باباكي؟

– آه والله.

– طيب وإنتِ إيه رايك؟

– هو كويس طبعًا بس انا ماعرفوش.

– طيب إيه رايك نخرج كلنا سوا وتتكلّمي معاه؟

– لا، هو ممكن ييجي عندنا، ونتعرّف على بعض هنا، بابا هيكلمه إن شاء الله.

– والله لاورّيه بس أما أشوفه إزاي ميقولش لحد.

– غريبة فعلا.

– لا أبدًا هو طول عمره مجنون، وبيتصرف من دماغه كمان هو مجنون بيك يا جميل.

صمتت مروة.

– إيه مالك سكتّي ليه؟

– مفيش بس شوية صداع هاروح أنام يالا تصبحي على خير.



- وإنتِ من أهله.

استلقت مروة في فراشها، شعرت بالجوع فتوجّهت للمطبخ، وجدت طبقًا من المسقعة اللذيذة التي تعشقها وخبزًا أسمر فأعدت الطعام، وجلست على الطاولة الصغيرة تتناوله، فكّرت ماذا لو اكتفت والدها بطفلين فقط؟ وماذا لو لم ينفق والدها بسخاء على الفقراء والأقارب، أليس كل شيء وجب تنظيمه وعدم الإسراف به؟ قرّرت أن تكوّن أسرة صغيرة وحياة أفضل، ستتزوّج سامي وتُعينه أن يصبح غنيًّا ومرموقًا وتعمل معه في المحاماة، لن تُنجب سوى طفلين فقط، ستتفق معه على هذا وستُنظّم حياتها تمامًا أما ماجد فليذهب لجحيم عرّافته المجنونة فدوره ربما لم يحن بعد فهي لا تعرف ماذا قالت له العرافة الملعونة، وأي لعنة سوف تُصيبه.

***



13

في شقة صغيرة بالعجوزة جلس نادر أستاذ مادة العقاقير بكلية الصيدلة في غرفة النوم منتظرًا سلمى عشيقته الجديدة.

راح يصفف شعره جيدًا فهو يعلم بمدى تأثيره على النساء،كان فخورا بوسامته وعلاقاته النسائية المتعددة، كما أنه يجد الحياة بلا مغامرات مملة لا سيما وأن زوجته بدأت تكبر في العمر، ولم ينجبا أطفالًا، يعلم أن العيب به هو وأن زوجته سلوى سليمة جسديًا، لكنه لم يكن يستطيع أن يتحمل ملل الحياة بلا أطفال فقرّر قضاء حياته في العلاقات والمغامرات النسائية التي تجعل من الحياة مزيجا من الدهشة والتجديد وتملؤها بالمفاجآت والسعادة.

اعتمد نادر على اصطياد ضحاياه عن طريق الحب فهو لا يحب الجنس الخالي من المشاعر، كان يشعره بدونية الفعل فكان ينتقي النساء الأكثر براءة وجمالًا وحرمانًا عاطفيًا، ثم يبدأ في إلقاء شباكه عليهن، كان أحيانا يشعر بالملل من تكرار أسلوبه في الغزل والإيقاع بالضحية، لكن النساء تعرف أنها تقتنص ومع ذلك لا تمانع ثم يرحن يبكين، ويشتكين القناص



الذي أوقع بهن بعد تسليمهن التام له فلم لا يبكين قبل التسليم؟ تذكَّر محمد هنيدي في فيلم "يا أنا يا خالتي" هو ليه مفيش واحدة بتعيَّط قبل الغرق؟ ثم راح يقهقه.

كان يعتمد على وسامته وطول قامته الفارع وذكائه الخارق في التركيز على عقول النساء وإبهارهن بكل ما استطاع وأوتي من قوة وضعف ومال وهدايا لاستدراجهن لهذه الشقة الصغيرة، وقد كان يعمل بنصيحة سمير غانم في فيلم "البعض يذهب للمأذون مرتين" وكتابه الشهير الخاص بدكتور هوبير فيختار الضحية متزوجة ويفضل ألا يكن لها أبناء كيلا يزعج بوجودهم وتعطيلهم لها عن مقابلاته الغرامية.

لم يكن يشعر بعتاب ضمير تجاه سلوى زوجته فهي لا تستطيع فهمه والتواصل معه عقليًا كما أنها غيورة وعصبية وغبية بل تقضي معظم وقتها في المعامل والتحاليل، وما عادت تهتم بجمالها كما أن عدم إنجابها جعلها تبدو حزينة دائمًا، وكان عمرها مائة عام، لا شك لديه بأنها تحبه بل وتعشقه ولا تستطيع الحياة بدونه، يعلم أنها تعلم بخيانته لكنه لا يجد منها شرًا تجاهه أو محاولة لفضحه، ربما أنها تعلم أيضًا بأنه يستخدم شقة زواجهم الأولى في مقابلاته الغرامية.

سلوى معها مفتاح للشقة وتأتي أحيانًا لتنظفها مع الشغالة لكنه لا يقوم بأي لقاء غرامي إلا لو تأكد أن سلوى في سفر فهي تسافر كثيرًا في مؤتمراتها ولقاءاتها المتعلقة بالعمل، أما إن لم تكن على سفر فيفضل نادر اللقاء في مكان آخر غير الشقة.



أخرجه صوت جرس الباب من أفكاره وراح يعدل هندامه، الروب الحريري المزركش وصفف شعره ووضع القليل من عطره الفرنسي المفضل ثم توجه من فوره للباب.

- مساء الخير.

- مساء الهاللو يا حياتي.

- اتأخرت عليك يا ندورة؟

- لا أبدًا.

كانت الزائرة امرأة جميلة في نهاية عقدها الثالث ممشوقة القوام ممتلئة الصدر ذات خصر مشدود وبشرة بيضاء ووجه مستدير ينسدل حوله شعرها الأسود كليل طويل،جذبها نادر إليه في قوة وغابا معًا في قبلة طويلة ساخنة.

ابتعدت عنه المرأة قليلًا لتلتقط أنفاسها، ونظرت لطاولة العشاء وتشمّمت رائحة العطور الفرنسية في كل مكان، وصوت الموسيقى الرومانسية الذي يصدح في الشقة الصغيرة:

- شكلك مجهّز كُل حاجة.

- طبعًا ولسه لما تشوفي أوضة النوم.

ضحكت المرأة:

- عيب عليك.

جذبها من ذراعها نحو غرفة النوم، دخلت تتضاحك بين ذراعيه.

- إيه رأيك؟

- تجنّن بس الجو حر قوي شغل التكييف.

- التكييف بايظ للأسف مع إن طول عمره شغّال.

- معقول تفوت دي عليك؟

- متخافيش الجو النهاردّة زي الفل، والهوا برّه يجنّن وفي بلكونة هتعجبك قوي.

- إن كان كده أوك.

راح نادر يفتح الشرفة الموجودة بغرفة النوم، أزاح من أمامها كرتونة صغيرة يضع به بعض العقاقير الكيميائية التي يستخدمها في عمله الصيدلي ثم فتح الزجاج والشيش من وراءه وانطلق الهواء النقي يسبح في الغرفة ويندمج مع كل ما فيها من عطور وموسيقا وخلافه.

- اعملي حسابك هتباتِي معايا النهاردة.

- ياريت، انت واحشني قوي.

- وإنتِ كمان.

جذبها نحوه إلى الفراش الوثير وخلع الروب الحريري ثم جردها تمامًا من ملابسها قطعة قطعة في سرعة ولهفة، وهو يقوم في هذه الأثناء بتقبيلها في كل مكان بجسدها،وكانت هي تبادله لهفة بلهفة وشوق بشوق حتى التحما



معًا في الفراش وغلبهما النوم وراح الهواء المنطلق من الشرفة يضربهما، وكأنه يعاقبهما على فعلتهما الشنيعة فكلاهما خائن ويستحق العقاب ولو كان من الهواء وما يحتويه.

***



14

في الفيلا المجاورة لفيلا المستشار الجبالي تقطن الأستاذة سلوى أو سلوى هانم كما يطلق عليها البعض فهي سليلة عائلة من الباشوات والأتراك وشخصية مرموقة في المجتمعات العلمية، جلست سلوى هانم في هدوء تطالع التلفاز قناة ناشيونال جيوجرافيك وتشاهد حلقة عن إناث بعض الحشرات والزواحف واللاتي يقتلن أزواجهن بعد عملية الجماع، كأنثى النحل والعقرب والعنكبوت وكانت تبتسم عندما راعتها طرقات قوية على باب الفيلا حيث إن البواب غادر القاهرة لبلاده بناء على رغبته وموافقتها، راحت تفتح الباب لتجد أمامها عددًا من رجال الشرطة والنيابة، خاطبها وكيل النيابة قائلًا:

– السلام عليكم، في خبر يمكن يكون صعب عليكي شوية.

كانت سلوى هانم امرأة هادئة عالمة تستطيع التحكم في مشاعرها لأبعد الحدود لكنها تظاهرت بالارتباك:

– خير إن شاء الله؟



- في شقتكم القديمة ف العجوزة من حوالي تلات ايام،حالة وفاة لجوز حضرتك الدكتور نادر وكمان حالتين تسمم من الجيران و..

جلست سلوى هانم على أقرب كرسي:

- إنت بتقول إيه، وازّاي محدّش يبلّغني غير دلوقتي؟

- حاولنا نوصل لك الأيام اللي فاتت بس كنتي في مؤتمر في فرنسا ومحدّش عندو رقمك.

- فعلًا الكلام ده صحيح بس ممكن أفهم.

- حالة تسمم بالفوسفين النقي، جوز حضرتك وكمان معاه واحدة ست متجوزة والسم تقريبًا انتشر خلال ساعات وماتوا وهما نايمين كمان وصل للأسف للجيران، الحمد لله العمارة تقريبًا فاضية بس في اتنين من العمال كانوا ف الشقة اللي تحتهم بيوضّبوها واتسمّموا وهمّا ف المستشفى دلوقتي لكن الدكتور نادر، والمدام اللي كانت معاه الله يرحمهم.

- بتقول مدام كانت معاه؟

- أيوه وكمان كانوا ف السرير في حالة زنى واضحة جدًا..العمال وصل رئيسهم لقاهم مُغمي عليهم أما جوز حضرتك فللأسف جوز المدام اللي كانت معاه تقريبًا حد بلّغه وراح الشقة ومعاه البوليس لقوهم كده.

- مُستحيل.

- ده الي حصل.. كنا عاوزين نعرف حكاية الفوسفين دي وازاي كان موجود في أوضة النوم.

- معنديش فكرة، هو نادر كان بيستخدم الشقة القديمة لتخزين أي عقاقير للصيدلية أو للأبحاث بس مستحيل يعني يكون حط سم، معقول نسي؟

- نسي إيه؟

- كان بيعمل أبحاث على الفوسفين اللي من غير ريحة بقاله مدة، معقول يكون خزّنه هناك؟

- حضرتك أكيد بتفهمي ف الحاجات دي.

- لا أبدًا انا أستاذة في علم الحيوان ومعنديش فكرة لا عن العقاقير ولا السموم.

راحت سلوى تجهش بالبكاء الحار ثم انهارت قائلة:

- كان خاين مش معقول، مش قادرة أصدق، إزّاي هاعيش من غيره.

- اهدي يا سلوى هانم، كُنا عاوزينك معانا في التحقيق.

- صحيح ماتصلتوش ليه بيّا الأول؟ حد يدخل هجم عالناس المحترمة كده؟

رد عليها وكيل النيابة:

- حاولنا ومعرفناش نوصل لك.

- إيه المطلوب مني دلوقتي؟



- مفيش بس ياريت بُكره الصبح تتفضلي عندنا ف النيابة علشان ناخد أقوالك.

نظرت له في وهن:

- أقوالي؟ طيب ان شاء الله سيبوني دلوقتي من فضلكم.

نظر لها وكيل النيابة في شك فقد كان متعمدًا أن يزورها بهذه الطريقة المفاجأة فقد كان لديه شك بأنها قد تكون القاتلة لا سيما، وأنها كانت في حفل التاروت اللعين.

نظر على الطاولة التي كانت تجلس بجوارها فوجد كتاب بعنوان:

"كتاب علم السموم البيئية" لدكتور فتحي عبد العزيز.

كانت مستمرة في البكاء ولا تنظر له فأمسك بالكتاب قائلًا:

- إنتِ كنتي ف حفلة ف بيت المستشار سعيد الجبالي جاركم الشهر اللي فات؟

- آه كنت هناك.

- حضرتي جلسة التاروت؟

- أيوه.

- فاكرة العرّافة قالتلك ايه؟

- لا مش فاكرة طبعًا كله بيبقى كلام فارغ.. تسالي.



- امم، وإيه الكتاب ده؟

نظرت ببرود ليده والتي بها الكتاب قائلة:

- ده كتاب بتاع نادر طبعًا، ما انت عارف تخصصه.

شعر وكيل النيابة بالغيظ والحنق وبأن الدائرة تضيق عليه تمامًا فخرج من المنزل، وبيده الكتاب.

- طيب أنا هاخلّيه معايا شوية.

- أوك، مفيش مشكلة، هي جثته فين دلوقتي؟

- في المشرحة طبعًا.

- طيب، والدفن والحاجات دي؟

- بكره نتكلّم إن شاء الله لسه بدري عالكلام ده يا هانم، القاتل هيتعرف يعني هيتعرف.

- ده لو في قاتل.

شعر وكيل النيابة برأسه يكاد ينفجر من هذه المرأة القوية المريبة، وخرج ورجاله من فوره من الفيلا.

توجهت سلوى هانم نحو المطبخ لتُعد كوبًا من القهوة التركية اللذيذة لتهدّيء فكرها، كان هاتفها يرن برقم الدكتور علي زميلها المتيم بها فلم ترد ولم تعره اهتمامًا.



راحت تسترجع الأحداث الماضية، شعرت بالندم لأنها لم تخبيء الكتاب، ونسيت أمره تمامًا لكن الكتاب ليس بدليل.

راحت تتذكّر مبتسمة كيف خطّطت للقتل، وحصلت على السم.

ذهبت قبل الحادث بأيام لشقة العجوزة، ولم يرها أحد لأنها كانت مرتدية نقاب كامل باللون الأسود، وذهبت في سيارة أجرة ولم تجلب أكياس السم معها في كيس أو كرتونة أو أي شيء يظهر للعيان، لكنها وضعته في عدة أكياس صغيرة مغلقة جيدًا، ولم تنس في هذه الأثناء وما بعدها أن ترتدي قناعًا واقيًا من الغازات السامة معد خصيصًا بواسطة زوجها للنساء، فكان صغير الحجم ورقيق فاختبأ جيدًا تحت النقاب، وكان آخر مخترعاته الصيدلية لكن لم يعلم عنه أحد ولم ولن يظهر للنور، حصلت على السم من معمله الخاص بلا علمه ثم وضعت الأكياس الصغيرة في حزام كبير حول وسطها تحت العباءة ثم ارتقت سلالم البناية وغالبًا لم يرها أحد، وحتى لو رأوها كان تنكرها متقنا للغاية ومن المستحيل أن يتعرف عليها أحد، دخلت الشقة بالمفتاح الذي تملكه ثم فرغت كرتونة عقاقير كاملة كانت في غرفة النوم في الحمام وملأتها بأكياس الفوسفين النقي الذي لا يحمل رائحة والتي جلبتها من المعمل الخاص بزوجها أسفل الفيلا، وقامت بفتح الأكياس قليلًا، كانت تعلم جيدًا أنها لن تعمل إلا في وجود الهواء النقي وارتدت القناع خوفًا من وجود هواء بالغرفة فأغلقت التكييف تمامًا ثم بخبرتها العلمية أحدثت عطلًا بمفتاح الكهرباء الرئيس الموصل بالتكييف، وأحكمت غلق النوافذ والشرفة وألقت بريموت التكييف في الشارع وخرجت مسرعة من الغرفة وأغلقتها كما كانت.



كانت تعلم بهوية المرأة الجديدة التي يقيم زوجها علاقة معها وبأنه قد اشترى غرفة نوم جديدة للقائه معها، وسيقضي معها الأيام التي ستسافر فيها سلوى للمؤتمر العلمي بفرنسا.

جلست في الصالة الواسعة تحتسي كوب قهوتها، وتذكّرت كلمات العرّافة، كم كانت بحاجة لتلك الكلمات المحفزة فربما جميعنا بحاجة لبعض التشجيع كي نتحرّك ونقوّم حياتنا،كم عانت قسوته وهجره لها! كم عانت صلابته وقسوة ألفاظه! كم كان مجرمًا في علاقاته الغرامية وصيادًا لا رحمة له! كم كانت مخلصة وغبية في إخلاصها التام!

لم يكن نادر ذلك الرجل الحذر الذي يخاف من زوجته ويُخبّيء عنها علاقاته، بل تشعر أنه كان يتعمّد أن يترك لها بعض المعلومات ليستفزها ويشعرها بخياناته له وبأنها ما عادت مفضلة لديه، كان يداري نقصًا فيه بسبب عدم قدرته على الإنجاب، ها هو الآن يرقد في فضيحته بمشرحة ولن يعلم أحد بأنها هي من تخلص منهم فلا بصمات تدينها ولا شهود ولا أدلة كما أن أبحاثه عن الوفسفين النقي عديم الرائحة معلومة جيدًا في الوسط العلمي، والجميع يعلم أن شقة العجوزة مخزن لعقاقيره، أغمضت عينيها وشعرت بسعادة وامتنان لتلك العرافة الذكية، فربما قليل من المعرفة قد يكن وبالًا على الكثيرين ويقدم عالمًا جديدًا لغيرهم.

رن الهاتف المحمول مرة أخرى برقم علي الحبيب الوهان فابتسمت.

لم لا؟ لكن ليس وقته الآن.



جلست مرة أخرى أمام التلفاز وعلا صوت المذيع وهو يستكمل شرحه لخطوات تخلص إناث الزواحف والحشرات من أزواجهن بعد المعاشرة، وراحت سلوى هانم تبتسم، وهي مغمضة العينين تحتسي قهوتها في هدوء تام لكن عادت وفتحت عينيها فجأة للتساؤل:

يا ترى مين بلّغ جوز الهانم اللي كانت معاه؟

***



15

في بناية ضخمة في فوكسهول، لندن، بريطانيا، كتب عليها بالإنجليزية:

"International Academy of Communication and Conciousness"

يستعد المحاضر المصري دكتور نبيل منير لإلقاء محاضرته عن التخاطر وأثره في الإنسان والحيوان، تخرج نبيل من جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم النفس وكان الأول على دفعته، لم يستطع الحصول على عمل جيد بمصر كعادة جميع المتفوقين ممن لا واسطة لهم أو أقرباء ذوي نفوذ فقد نشأ في عائلة فقيرة وعانى الكثير حتى حصل على مجموع يدخله كلية الآداب، قسم علم النفس لكنه أحب دراسته وتفوق بها كما دعم نفسه بدراسة اللغة الإنجليزية حتى وصل لمستويات عالية من إتقانها بلهجتيها البريطانية والأمريكية.

راح يبحث عن بعثة مناسبة للسفر لبريطانيا أو الولايات المتحدة لاستكمال دراسته لكنه لم يجد.

قهره رفض إدارة الجامعة والكلية تعيينه معيدًا، كما رفضته العديد من الجامعات الحكومية والخاصة، فلا واسطة له للعمل بأي منهم.



لم يجد حلًا سوى العمل الحر في العديد من مراكز التنمية البشرية حيث عمله أن يقوم بتقديم دورات في التنمية البشرية وهناك تعرف على يارا لأول مرة.

التحقت يارا بدورات التنمية البشرية بناء على رغبة والدها الذي يريد صقل ابنته في جميع المجالات الثقافية ليهيئها للعمل العام فيما بعد، ابنته التي يراها تتجه نحو الحفلات والاهتمامات التافهة فكانت يارا من الطالبات اللاتي غير مهتمات حقًا بالتنمية البشرية،وما يتعلق بها من علم نفس وبرمجة لغوية عصبية لكنها انجذبت لمحاضرات نبيل خاصة حيث كان دائمًا يربط محاضراته بعلوم ما وراء الطبيعة والميتافيزيقا لجذب الطلاب له بشكل أكبر وبالفعل كان المحاضر الأفضل في العديد من معاهد التنمية البشرية بالقاهرة، لكن ذلك لم يكن ليوصله لأهدافه وطموحاته والتي تبدأ بالمال وتنتهي بأعلى الدرجات العلمية، بل باكتشافات علمية جديدة في علم النفس.

اهتم نبيل كثيرًا بالتخاطر وكيفية التواصل بين العقول والتأثير في الآخرين وتغيير مسارات الأحداث على المستوى الفردي والدولي، كان يعلم أنه لو لا توجد إثباتات علمية قوية على التأثير في الآخرين بواسطة التخاطر، وأنه لو توصل هو لإثباتات علمية بهذا الشأن سيكون محل اهتمام المحافل العلمية العالمية، بل والسياسية والمنظمات العالمية الكبرى التي تحاول السيطرة على العالم فراح يبحث عن فرص للعمل في دولة غربية مناسبة ليصل لعقول ذكية متفتحة تستطيع اكتشاف عقله الخارق وتنمية ومعرفة أبحاثه ودعمها.



منذ كان شابًا وجد في نفسه مواهب عديدة لم يكن يصدقها بالبداية. لم يكن وسيمًا بالمرة لكنه ومنذ بداية عمر المراهقة في الحادية عشرة كان مثار إعجاب الفتيات وحبهم مما جعل الأولاد يغارون منه ويتعجبون عما به لتنجذب نحوه الفتيات، لكنه بعد فترة قليلة كان باستطاعته جذب الأولاد أيضًا له وجعلهم أصدقاءه، بل وإبهارهم بطرقه المختلفة في الغش وجذب الفتيات. لم يكن يفهم أن تلك قدرات عقلية خاصة به وأن بإمكانه توظيفها كما يجب.

كانت ضآلة حجمه وجسده النحيل مثار سخرية الناس في الحي الشعبي الذي يسكنه كما أن نظره الضعيف والنظارة كعب الكباية كما يسموها تنفر منه الناس في البداية، لكن حديثه الطلي ولسانه الفصيح وطريقته الخاصة في التعامل مع الأفراد جميعهم كان لهم كبير الأثر والسحر المبهر على الجميع حيث يتبدل أسلوبه عند الحديث مع فتاة عنه عند الحديث مع معلم أو مع الجزار أو البقال، وكان يرى في ذلك شيئًا من نفاق،لكن لا بأس به ما دام سيجنبه شر القوي وسخرية الضعيف وسخافة الأغبياء.

نشأ في حي شعبي بالجيزة مع والده فقط يتيم الأم ونظرًا لضآلة حجمه، وعدم حبه في الرياضة وغيرها من الألعاب التي تستهوي الصبيان فقد لجأ للقراءة، وكانت المكتبات العامة هي هدفه الأول وكذلك مكتبة المدرسة ثم الجامعة، راح ينهل ويقرأ من الكتب وكأنها زاده الأخير فصقل قوة عقله بالعلم والثقافة، قرأ ذات مرة عن كتاب يسمى:



"كيف تصنع مريضًا" للعالم والمفكر الغربي جورج ويلز وترجمة دكتور عبد العزيز على ثم لاحظ في فيلم: "أين عقلي؟" لسعاد حسني ومحمود ياسين كيف كان البطل يستخدمه لزج زوجته نحو الجنون.

استثارته الفكرة جدًا، لكنه بحث عن الكتاب كثيرًا، ولم يجده وعلم أنه من الكتب الممنوعة حتى كان ذات مساء تحدث مع عم سيد أمين مكتبة قصر الثقافة بالمنطقة التي يسكنها وكان حينها في عمر الثالثة والعشرين أي قبل سبع سنوات من الآن:

– باقول لك إيه يا عم سيد إنت عارف إني أنا دودة قراية وخريج علم نفس كان في كتاب عاوزه ف بحث مهم بس مش لاقيه تقدر تجيبهولي؟

– اسمه إيه الكتاب يا إبني؟

– كيف تصنع مريضًا لجورج ويلز عارفه؟

– عارفة طبعًا بس هيبقى غالي عليك شويه.

– هتجيبه منين؟

– واحد صاحبي م اللي عندهم فرشة جنب سور الأزبكية بتجيله نسخ من كتب ممنوعة، وحاجات مستوردة واقدر اجيبهولك منه بس هتبقى نسخة تصوير.

– وماله بكم بقى؟

– 200 جنيه.



- إيه؟ كتير قوي ينفع 100؟

- خليهم 150 طيب.

- موافق هتجيبهولي إمتى؟

- بكره إن شاء الله يكون معاك عدّي عليّا هنا وهاجيبهولك في كيس إسود بس محدش يعرف الموضوع ده لا هنا ولا بره.

- لا متشيلش هم معادنا بكره إن شاء الله.

عندما تسلم نبيل الكتاب توجّه من فوره لمنزله واستقر في غرفته ثم راح كالشيطان يتصفح فصوله ومحتوياته، لكنه وجده صعب الفهم قليلًا، فاستعان بكتب علم نفس أخرى مثل "الدماغ الخارق" لديباك شوبرا وكتاب "المتلاعبون بالعقول" هربرت شيللر وغيرهم من كتب علم النفس المختلفة. وجد أن الكتاب يستحق القراءة بالفعل فهو يقدم عرضًا لتاريخ غسيل الدماغ وأنواعه المختلفة كما ويعرض العديد من عمليات العصاب التجريبي وإمكانية تطبيقه على الإنسان بصور عديدة، ومختلفة عن الأساليب النمطية لعلم النفس العلاجي والسلوكي كما أنه يحتوي شرحًا مفصلًا لأكثر من عشرين تقنية متعددة ومنوعة من تقنيات غسيل الدماغ وطرق غرس بذور الأمراض النفسية للأسوياء والتي تشمل التنافر المعرفي، والذبذبة العصبية، والإبدال المعرفي، والتشفير العميق، والتقطيع الإدراكي، والتشويش الإدراكي، والدمج بين المتقابلات، والتحويل بإعادة الجذب وغيرها من التقنيات النفسية التي تمكن من يستخدمها من السيطرة على عقل المتلقي وكذلك دفعه لارتكاب أعمال معينة.



وجد بالكتاب كذلك ثلاثًا وعشرين تقنية من تقنيات صناعة المرض العقلي للأسوياء، بعض هذه التقنيات هي نفسها تقنيات للعلاج النفسي ولكنها تستعمل بشكل عكسي،والبعض الآخر منها يعتبر من أنواع غسيل المخ وتوجيه الأفراد نحو سلوكيات محددة كالمنوم مغناطيسيًا.

لاقى الكتاب في نفسه قبولًا كبيرًا خاصة عند الحديث عن غسيل المخ، وكيف مارسته بعض الدول ضد أسرى خصومها في الحروب، وكذلك استخدام الصور والمعلومات المتعلقة بالأفراد لتوجيه فكرهم صوب جهة معينة أو نحو دافع معين، راقته تلك النقطة فقام بربطها بالتخاطر عن طريق الصور والأصوات ونقل الفكرة من خلال وسيط.

تحدث الكتاب كذلك عن مصطلح للعالم النفسي الروسي إيفان بافلوف والمسمى بالعصاب التجريبي وكيفية تطبيقه على الإنسان بعد أن كان يمارس في معامل علم النفس على الحيوانات، ثم وجد شروحات بواسطة المؤلف لتقنيات حديثة مستخدمة لإصابة الأسوياء بالمرض النفسي، فيذكر تقنيات مثل: الذبذبة العصبية والتنافر المعرفي والإبدال المعرفي والإقحام المعرفي والتشفير العميق والتشفير بالنموذج والتقطيع الإدراكي والتشويش الإدراكي والتشويه الإدراكي الأحادي والعزل الحسي وغيرها من التقنيات الأخرى. (4)

ومن هنا عرف نادر ما يريد تحقيقه تماما ولكنه كان يبحث عن أداة أو وسيط يساعده في إجراء تجاربه وبالفعل وجد العديد من الأفراد وكان يسجل تجاربه والنتائج المتوقعة في حاسوبه الخاص على ملف سري جدًا



مخفي، وكان يحلم بعرض تجاربه هذه على مهتم بعلم التخاطر سواء كان سياسيًا أو عالمًا، لم يكن يهمه شيء ولو عرضت عليه إسرائيل لوافق لكن أين هي الفرصة؟ لم يكن من الأشخاص الذين يبحثون عن أقرب فرصة فكان ينتظر ويعمل ويبحث ويسجل النتائج، بعض تجاربه كانت خيرية وبعضها كان شريرًا، ساعد الكثيرين على العمل والنجاح، بل صنع نجومًا وقادة ودفع الكثيرين للفشل والقتل والانتحار، كان مدفوعًا بالرغبة في العلم وتسجيل التجارب جميعها ونتائجها حتى جاء اليوم وقابل يارا الفتاة الغنية المرفهة التي تقول:"أنا إيمو وأفتخر" هذه الفتاة التي لها العديد من الأقارب في العديد من دول العالم المتحضر، بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا والنمسا وألمانيا وغيرها وكان والدها غنيًا جدًا لدرجة امتلاك منزل في كل هذه الدول، ولم ينجب سوى يارا فيالك من محظوظ يا من ستحبك يارا.

لم يكن وسيمًا ولا ممشوق القوام، بل كان نحيلًا وقصيرًا ذا شعر بني ناعم يعطيه مظهرًا طفوليًا لطفل ليس جميلًا لكنها القوة العقلية والثقة النفسية والجاذبية الجنسية التي امتلأ بها هي من سحرت يارا وجعلتها تدور في فلكه. يارا هي الفرصة التي طالما بحث عنها وجاءته على طبق من فضة بل من الماس.

في تلك الفترة كان نبيل يحاول تحقيق سبق علمي يثبت وجود التخاطر علميًا بالتجارب وتوثيق أبحاثه بحوادث حقيقية ونتائج مكتوبة مسبقًا لكنه كان بحاجة لمؤسسة ترعاه أو هيئة تتبناه وتطور أبحاثه وعندما قابل يارا لم



يتأخر في جذبها نحوه بكل الطرق والوسائل، كان رجل الجنس بلا منازع فجاذبيته الجنسية تكمن من قوة عقله، لكنه لم يكن من الرجال الذين يضيعون قواهم العقلية في جذب أي فتاة او امرأة أو خنفسة حتى فذلك النوع رغم ذكائه لكنه يستنفده في هذه الألعاب مما يضعفه في نواحي العمل والنجاحات الأخرى.

نبيل اختار يارا فقط ليؤثر عليها ويوجه جميع طاقاته لسرقتها. في بداية الأمر كان يراسلها عبر العيون، نظرات بسيطة عابرة من وقت لآخر، عبارات مقصودة تبدو كأنها غير مقصودة، أغنية معينة يعمد تشغيلها في وقت الراحة بين المحاضرات، الطريقة التقليدية لجذب فتاة وجعلها تتعلق بك لكن مع مرور الوقت بدأ يغير أساليبه معها فمثلًا اتبع أسلوب الإبدال المعرفي بحيث يتغير تمامًا في معاملته معها ليصبح قاسيًا أو مهملًا أحيانًا ويغير آراءه اليوم عما كانت عليه بالأمس تماما ثم يعود ليهتم مرة أخرى بها ويقدم آراء جديدة تمامًا ثم يعود ليضربها بالغيرة ويبدل انفعالاته معها من برود ولا مبالاة لاهتمام عادي ثم اهتمام حميم لصديق أو أخ ثم اهتمام جنسي حاد يليه إهمال وقسوة وهكذا، كانت جميع خطواته معها وتصرفاته كذلك مدروسة جيدًا ومكتوبة مسبقًا.

عندما عرف باهتمامها بجماعات الإيمو قدّم لها كل المعلومات المتعلقة بهم وموسيقاهم وحفلاتهم واهتماماتهم حتى جعلها مجنونة به، سيطر تمامًا على عقلها، وكان من وقت لآخر يؤكد إعجابه ببراءتها وعفتها، فقد أخبرته أنها عذراء، وليس لها علاقات سابقة، لكنه أيضًا لم يتورع عن

إغرائها بكل السبل وجعلها تتعرف على جسدها، وتبحث عن شهوة الجنس مثلًا لمسة صغيرة جدًا من وقت لآخر، نظرة عميقة خاصة جدًا، حوار حميمي دافىء ومناقشة عن الجنس وعلاقته بصحة الإنسان وكيف أنه غريزة يجب إشباعها عند الإنسان منذ الولادة.

قدم لها كتب فرويد وكيف أن الطفل يبحث عن الجنس منذ الولادة في ثدي أمه، ثم في حضنها، ثم في اللعب مع الأقران، ومن هنا فوجب على الإنسان ممارسة الجنس بعد البلوغ مباشرة.

عرف منها الكثير عن عائلتها وأصدقائها واستدرجها للحصول على أكبر قدر من المعلومات عنهم، وراح هو أيضًا يبحث في ماضيهم وحاضرهم، ويسجل كل ما يحصل عليه ثم عرض عليها فكرة جلسات التاروت.

في هذا التوقيت كانت يارا قد ساعدته في الحصول على وظيفة بمعهد تواصل وتنمية نفسية في بريطانيا واستطاع بمهارته الحصول على أكبر قدر من الأموال منها فاستقر أخيرًا في لندن، وهناك بدأت علاقته الحقيقية بها.

***



16

تدهورت حالة يارا تمامًا، فوصلت لشلل نصفي في جانب جسدها الأيمن بعدما أخبرها ماجد بمقتل زوج سلوى هانم وعشيقته بالسم، وبأن لا أحد يعرف القاتل ووكيل النيابة يشك في العرافة.

أخبرها ماجد بأنه يريد معرفة مكان العرافة ليتواصل معها، ويتيقن من شكوك وكيل النيابة، فأخبرته أنه يمكنه أن يجدها في السيرك المتنقل والذي يقام حاليًا بالقاهرة فهي بالأصل عاملة في سيرك.

لم تفكر يارا في استئذان نبيل، فقد وصل الأمر لجرائم عنيفة وكثيرة، وقد شل جسدها فماذا تبقى لها؟

ممددة فوق الفراش تشعر يارا بالتعب في كامل أجزاء جسدها، فمنذ راحت تفكر في الجرائم المتتالية،بدأ المرض ينتشر بجسدها ففي البداية ومنذ أول جريمة كانت تشعر بهبوط حاد في الضغط من وقت لآخر ثم شعرت بإرهاق كبير في عقلها من التفكير ليل نهار في نبيل وجلسة التاروت والجريمة المتعلقة بزوجة المستشار السناري وعشيقها، تذكرت كلمات العرافة لزوجها، وشكّت في أن يكون القاتل.



استرجعت يارا كلمات العرافة لجو وكيف أنها شجعته على الانتحار، وعندما علمت يارا بانتحار جو انهار ضغطها تمامًا، وما عاد نبيل يتصل بها، وما عاد يرد على اتصالاتها وهنا دخلت المستشفى، ثم تذكرت كلمات العرافة لسلوى هانم وجريمة مقتل زوجها وعشيقته بالسم.

كلمات العرافة كانت تحريض، وإيحاء والمُحرّض شريك في الجريمة بل فاعل رئيس كما يقول القانون، وكما درست هي وأكدت ذلك لدكتور ماجد.

شعرت بأنها تمادت في انقيادها خلف نبيل، وأفكاره وتجاربه المجنونة وها هي الآن ترقد حبيسة المرض شريكة في عدة جرائم، وعلى علم بالقاتل أو المحرض الرئيس.

اكتشفت فجأة أن ماجد قد جلس مع العرافة، ولم تكن هي موجودة، ولا تعرف ماذا عساها قالت له هذه الملعونة.

تعود بذاكرتها للوراء لأيام جميلة كانت هي ونبيل والحب فقط ولندن، لم يكن شيء ليعكر صفو لقاءاتهم، فالمال موجود والحب والجمال والجنس المحموم والمدينة العريقة الساحرة.

في ملهى ليلي يسمى فاير Fire يقع في شارع باري ستريت، فوكسهول، لندن كانت لقاءاتها مع نبيل وسهراتهم الليلية.



بعدما استقر نبيل في عمله بلندن والذي سعت له يارا كانت تزوره من الحين للآخر بحجة زيارة عمتها التي تقطن هناك، وفي وسط الأجواء الصاخبة والرقص والموسيقا كانت قبلاتهم الأولى.

تعمّد نبيل أن يجذبها للجنس بقوة، ولم يترك لها مساحة للتفكير في الحلال والحرام والخطأ والصواب، بل شجّعها كونها إيمو وتفتخر أن تمارس الجنس معه بحرية دليلًا على عودة الإنسان للفطرة والطبيعة، وكل تلك الهلاوس التي تعتمد عليها هذه الجماعات لجذب الشباب والفتيات للانضمام لها.

وبعد القُبلات جذبها للعلاقة الحقيقية، بل جعلها تتوسل منه ذلك وكان اللقاء الأول في شقته التي ساعدته هي في الحصول عليها وهنا تمت السيطرة الكاملة عليها وما عادت لتخرج من دائرته إلا لتعود لها.

في النهار كانت تأخذه في جولات عديدة بالمدينة العريقة، وفي أجواء لندن الباردة انغمست معه في دفء العشق والغرام،ساعدتهم المدينة الجميلة ذات الشوارع النظيفة والطقس البارد على الدخول في قصة حب عنيفة لا مفر منها، لكنها كانت مخدوعة، فلم ينبهر نبيل بلندن كما كانت تتوقع، ولم تجعله خاتمًا في إصبعها بالمال والسفر كما ظنت، بل أصبحت هي ذلك الخاتم بإصبعه.

في بداية الأمر عرض عليها أفكاره وأبحاثه عن التخاطر.



كان يستخدم وسائل غريبة في التواصل معها، ويُجري معها تجارب واختبارات عديدة فذات يوم قال لها:

- إيه رأيك نلعب لعبة حلوة؟

- الله أنا باحب الألعاب قوي، لعبة إيه دي؟

- بُصي هنحاول نبعت لبعض رسايل من غير فون ولا فيس بوك ولا أي وسيلة تواصل بعدين هتسجلي أي رسالة توصلك مني في الفون عندك عالنوت أو حتى على ورقة وتبدأي إنتِ تبعتيلي رسايل وانا هاقول لك بعتّي إيه والعكس.

- واو، تيليباثي؟

- برافو شطورة.

واستمر في تدريبها على لعب تلك الألعاب التي كانت تُثيرها تمامًا لكنه كان هو الأكثر دقة في إرسال الأفكار والأوامر لها ثم راح يدربها على اختبارات التخاطر بالبطاقات الست،بطاقة النجمة والمربع والموجة والدائرة المصمتة وعلامة X.

ودرّبها على التذكّر الجيد للبطاقات وتخمينها بعدة ألعاب في مجموعات تخاطرية لإرسال الأفكار واستقبالها، لكنه لم يتوسم بها الذكاء المطلوب لعمل الوسيط.

في أوقات ما كان يُرسل لها قُبلاته، وعناقه وما إلى ذلك من تخيلات غرامية، وكانت تشعر بها كاملة، وتسجل توقيتها في دفترها، وكان هو يخبرها بأنها ناجحة جدًا في استقبال الأفكار ولكن ضعيفة في إرسالها.



لم يهتم كثيرًا بتدريبها على إرسال الأفكار، فكان يبدو أنها فاشلة تمامًا، ولن تصلح كوسيط لإرسال الأفكار،ففكّر في فكرة جهنمية وهي استخدام عرّافة محترفة للقيام بالتجارب الخاصة بالتاروت، ومن هنا اقترح على يارا فكرة حفلات التاروت.

– هي فكرة روشة فعلًا بس أنا ماعرفش أي عرافة.

– يعني أنا الي ف لندن هاعرف؟

– طب أعمل ايه؟

– دوّري في السيرك في المسارح ف أي مكان.

بحثت عن عرّافة فلم تجد فعلمت بوجود سيرك متنقل مستقر لمدة طويلة بالقاهرة، وهناك عرّافة تقرأ الكف، والفنجان بالسيرك ومن هنا تواصلت معها، واستمرت في عقد حفلات التاروت بمنزلها حينًا، وبمنزل أصدقائها حينًا آخر، كانت جلسات عادية جدًّا كلها مرح وكلام عن الهجر والأحبة والسعادة والحب وما إلى ذلك. وفي يوم ما طلب منها نبيل أن تخبر العرافة بأنها سوف تعقد جلسة تاروت جديدة في حفلة بمنزلها ثم تقرأ الأوراق لمجموعة من الأشخاص الذين اختاروا حضور الجلسة من قبل الحفل، وكل منهم ستخبره ببعض الكلمات التي ستحفظها مسبقًا وتعرض عليهم أوراقًا معينة قام نبيل بتحديدها من مجموعة تاروت تتكون من 22 ورقة أرسلها للعرافة خصيصى من لندن عبر يارا.



تقاضت العرّافة مبلغًا ضخمًا من المال هذه المرة وخبرتها في تفنيد الورق استطاعت تفنيد الورق بحيث يظهر لكل شخص ما طلبت يارا من بطاقات بناء على رغبة نبيل.

شدّدت عليها يارا ألا تُخبر أحدًا بذلك ففعلت العرافة، ولكنها لم تكن تعرف المغزى من هذه العبارات الشعرية المنسقة التي كتبها نبيل بنفسه، لم تكن يارا أيضًا تعرف فقد روت لنبيل كل شيء عن جو وعلاقته الشاذة بصديقه، وكيف أنه كان شابًا بريئًا مسكينًا يبحث عن الحب حتى تم اصطياده بواسطة آدم الذي أنقذه من الانتحار واستغله جنسيًا.

حكت له أنه يعاني هجر آدم له وتهديده له بتركه، روت له كل شيء عن حياته ويتمه وأنه إيمو مثلها تمامًا.

أخبرته عن مروة ورغبتها في الزواج بماجد كما أخبرته عن ماجد وكل شيء عن حياته العملية والأسرية وعلاقته بالناس وبوالديه.

حكت له عن بعض الجيران وعلاقاتهم وبعض الأصدقاء، وهو من اختار سلوى هانم والمستشار محمود السناري بعدما قام بأبحاثه الخاصة عنهما عن طريق مندوبين له بمصر ثم اختار جو ومروة وماجد وعلم يارا كيفية إقناعهم بحضور جلسة التاروت، فراحت تعدّد عليهم مميزاتها، وكيف أن العرافة تطلع على الغيب وتعرف الكثير مما يمكنه أن يفيدهم في عملهم وحياتهم، وأغرت مروة بالحضور لجذب ماجد، كان من الصعب إقناع ماجد فقد كان يعلم أن التاروت مجرد وهم، لم يكن يعلم عنه شيئًا حتى قرأ رواية لكاتبه المفضل الأستاذ أحمد خالد توفيق تدعى "حكايا



التاروت" وهي تثبت كون ورق التاروت لا قيمة له وأن القارئ يلعب على عقول المتلقين ليس أكثر كما أنه قرأ رواية أخرى تدعى "قلعة المصائر المتقاطعة" لإيتالو كالفينو تقدم أوراق التاروت بشكل غير مفهوم ولا تأثير له.

لقد اختاره نبيل بالذات لأنه شخص صعب، وفقًا لما حكت يارا، وذو شخصية عنيدة ومميزة يصعب السيطرة عليها، ومن هنا تصبح التجربة أقوى والنتائج أفضل، فراحت يارا تتدلل على ماجد، وتطلب منه حضور الجلسة فوافق.

تتذكّر كيف كانت تروقها الألعاب التي يقوم بها نبيل معها، وكيف أن ذلك من شأنه يكسر الملل والروتين والوحدة التي تعانيها، فوالدتها متوفاة، ووالدها دائمًا مشغول أو في سفر.

لكن ها هي في النهاية أصبحت شريكة في جريمة بل جرائم لمن هم قريبين منها، عندما أخبرت نبيل بذلك هاتفيًا وجدته سعيدًا يصفق مرحًا ويضحك مما راعها، فكيف يفرح لموت أبرياء وجرائم انتحارهم لكنه كان فقط مهتم بالنتائج التي كان قد كتبها مسبقًا؟

كانت خطته هي إرسال الأفكار عبر عقل مُفكّر كعقل العرافة، وكيانها ورائحة عطرها حيث جعلها تضع العطر النسائي المفضل لماجد، كما علم من يارا، وكذلك الصور والرسوم بورق التاروت وكلمات شعرية كتبها خصيصى لكل منهم بحيث تكون ذات تأثير شديد، كما أنه كان يحتفظ بصور ومعلومات كثيرة عن هؤلاء الأشخاص المعنيين بحفل التاروت



اللعين، وكان يستخدم طرق التركيز على الصور وإرسال الأفكار التي تضعف تركيزهم عبر الصور مثل ترديد جمل سلبية على المتلقي وتكرارها عبر الصورة فكان يرسل للمستشار السناري دائمًا مثلًا عبارات مثل: يا وضيع الأصل، ويرسل لجو: أيها المخنث الوحيد التعس، ومن ثم يصبحون أضعف وأكثر عرضة لاستقبال الأفكار وتنفيذها، كما يعتقد نبيل وكما يحاول أن يثبت علميًا وتصبح هالات الطاقة لديهم أكثر هشاشة وأسهل في استقبال الأفكار عبر الصور وتأثير جلسة التاروت، أما الأوراق ذاتها فلا قيمة لها ولا تأثير لها في الحقيقة.

نامت يارا مرهقة من التفكير،وعندما استفاقت وفكّرت في مكالمة ماجد وتحذيره ومعرفة ما قالته له العرافة وكذلك الاتصال بالنيابة وإخبارهم بكل شيء وجدت أنها لا تستطيع الكلام ففقدت الوعي، وعندما أفاقت هذه المرة سمعت الطبيب يناقش حالتها وهي شلل نصفي وفقدان نطق، فكّرت: هل كانت حالة من حالات نبيل أيضًا؟ وهل سبب لها المرض بمعاملته وتفكيره بها وكذلك برسائله السلبية لها؟

***



17

خيمة ضخمة في ميدان كبير بشبرا الخيمة وتجمهر من البشر حول الخيمة وداخلها، رائحة المفرقعات تمتزج ورائحة الذرة المشوية والبطاطا والفشار أمام الخيمة الكبيرة. لافتات ضخمة للاعبي السيرك وراقصاته ولوحة كبيرة لعرافة ذات ملامح مميزة تجلس وأمامها فنجان وبعض أوراق ذات صور ملونة مميزة، أوراق التاروت اللعينة.

يخترق ماجد الزحام ويقطع تذكرة ثم يدخل بحثًا عن العرافة، يعترض طريقه رجل مفتول العضلات أصلع الشعر عار الصدر يرتدي بنطالًا من الجلد الضيق وبوتًا أسودًا فقط، يطوّق عنقه ثعبان ضخم يرقد في راحة وكأنه يحتضن أمه:

- جرى إيه يا أستاذ ما تهمد وتقعد لك ف حتة كده عشان نعرف تتفرج، الحيوانات فأقفاصها تحب الهدوء ومتحبش الحركة حواليها.

نظر ماجد حوله ووصلت لأنفه رائحة الحيوانات الغريبة في الأقفاص، نظر له أسد في عينيه نظرة مفادها.. ماذا أتى بك هنا أيها المغفل؟



ابتسم للأسد ووجّه بصره في كل مكان بالخيمة، وقال للرجل القوي:

– بصراحة أنا بادوّر على العرّافة، أنا جاي هنا عشانها مش عشان أشوف اللي بيمشو عالحبل ولا حتى اللي بيلاعبوا الأسود والتعابين.

أخرج من جيبه ورقة من فئة المائتي جنيه، وقدّمها للرجل القوي الذي سحبها بسرعه في جيب بنطاله الجلدي الأسود ثم اقترب من ماجد هامسًا:

– خلّيك ورايا من غير ما تعمل دوشة، ولا تخلي حد ياخد باله.

شعر ماجد بضربات قلبه قوية وواضحة كما أنها تزداد كلما اقترب من الخيمة الصغيرة الخاصة بالعرافة بداخل الخيمة الكبيرة للسيرك، وهناك رفع الأصلع قماش الخيمة الصغيرة، وسمح له بالدخول في هدوء.

اختلفت الرائحة بداخل الخيمة الصغيرة عن رائحة الخيمة الكبيرة العطنة والمعبقة برائحة الحيوانات، فبداخل خيمة العرافة انتشرت رائحة بخور هندي جميلة، لكن لم تكن العرافة هنالك فقد توقعها ماجد جالسة كما رآها أول مرة بهيبتها وملابسها المزركشة، لكن لم يجد أحدًا هنالك.

جلس على الأرض وانتظر قليلًا.. خرجت من خلف الستار الذي أمامه تمامًا امرأة في غاية الرشاقة والحيوية، ترتدي بنطالًا من الجلد الأسود تمامًا يشبه بنطال الأقرع، وتضع قناعًا فوق عينيها وتعقص شعرها خلفها لأعلى بلا اهتمام، كان جمالها أخاذًا وملهمًا، خصرها النحيف جدًا والذي يعلوه صدر متماسك ممتلئ وتنحدر من ذلك الخصر مؤخرة كاملة الاستدارة تدل على ممارسة صاحبتها لرياضة الجمباز أو ما شابه.



خلعت القناع من فوق عينيها قالت له في دلال:

- كنت مستنياك..اتأخرت ليه؟

- مين؟

- دلال العرافة أو لاعبة الترابيز وبامشي عالحبل كمان وبنلعب أنا وجاك اللي مشي من شوية لعبة رمي السكاكين. إيه أعجبك؟

- إنتِ عاجباني من يوم ما شفتك، جننتيني.

ضحكت العرافة ضحكات ماجنة مجلجلة وجلست،أخرجت من ثلاجة ميني بار صغيرة بجوارها علبتا بيرة، وقدمت واحدة لماجد:

- أخبارك؟

- مفيش الحمد لله تمام.

- مالك خايف كده، خفت من كلامي؟

- عن إيه؟

- عن الموت.

- بصراحة آه شوية، أنا مُرتبط جدًا بوالدي ووالدتي وخفت عليهم.

- لا متخافش ان شاء الله خير، إنت شاب طيب، ومحترم وتستاهل كل خير.

- مالك؟



شعر بضربات قلبه تزداد ثم رشف بعضًا من المشروب:

- مش عارف خايف.

اقتربت منه وركزت نظرها في عينيه:

- مني ولاّ عليا؟

- الاتنين.

- ليه؟

- إنتِ عرفتي إن الجماعة كلهم اللي قريتلهم يوم جلسة التاروت عند يارا حصللهم حوادث، جريمتين قتل وانتحار.

- ويارا عامله إيه؟

- حالتها زفت هي كمان في المستشفى وتعبانة قوي.

- وانت؟

- أنا كويس الحمد لله.

- طيب لما انت كويس وانا قريتلك ويارا تعبانة وانا مقريتلهاش المشكلة فين بقى؟

انفرجت أساريره وقال:

- صح، برافو عليكي.. هي مروة الخبيثة حطّت الفكرة ف دماغي والمشكلة كمان وكيل النيابة لما سمع كلامها بدأ يشك فيكي.



- فيّا انا؟

- أيوه.

- حد عرّفه مكاني؟

لاحظ ماجد توترها ثم قال:

- لا متخافيش بس إنتِ لازم تسيبي هنا فورًا.

- أنا إيه دخلي بس، كل الحكاية يارا جاتلي، وطلبت مني أقول كلام معين ف جلسة من جلسات التاروت، وانت عارف كله هجص وكلام فارغ، أنا قلت شوية كلام عادي يعني مش فاهمة إزّاي ممكن تفكّروا إن كلامي ممكن يسبّب جرايم، أكيد في حاجة غلط أو كل دي صُدف ماالهاش معنى وأوهام ف عقل مروة.

- المشكلة إنهم لقوا رزمة تاروت عند جو نفس اللي كانت معاكي، وكان كاتب ف ورقة الكلام اللي قولتيه له.

- الرزم دي موجودة عالنت بأسعار تافهة جدًا من 20 ل 50 دولار على أمازون وايباي وانت عارف الشباب المُرفّه ده وتقاليعهم كمان نسخة ال Raider Waite Taroot بالذات نسخة من أبسط ما يكون وللمبتدئين أنا أصلًا تخصص فنجان مش تاروت.

ابتسمت ابتسامة عذبة حنون وانفرجت شفتاها عن أسنان جميلة بيضاء، وانكمشت عيناها مبتسمتين مما طمأن ماجدًا كثيرًا وازدادت



ضربات قلبه، وشعر برغبة عارمة في تقبيل تلك المرأة واحتضانها، بل في أن يأخذها بعيدًا ويكمل عمره معها.

– بتقري الفنجان؟

– آه تحب أقراهولك؟

– يا ريت.

– طيب استنى أغيّر هدومي،واعزمني على قهوة ف أي حتة ولاّ عندك مانع؟

– لا مانع إيه بالعكس خالص ده شيء يسعدني جدًا.

***

المرأة التي خرجت لماجد من الغرفة الداخلية بالخيمة كانت ذات هندام وملابس مختلفة تمامًا، فقد ارتدت ثوبًا ناعمًا بسيطًا من الساتان الأخضر الغامق القصير، ينتهي عند الركبتين، وحذاء لامعًا من نفس اللون ذي كعب عال وإكسسوار فضي بسيط فوق الرقبة وقرط يشبه نفس الكوليه في رقبتها طعموا بفصوص خضراء من ذات لون الفستان، أسدلت شعرها فوق كتفيها ببساطة ووضعت ماكياجًا بسيطًا ناعمًا وعدسات رمادية في عينيها.

– إيه الجمال ده؟ بس ليه العدسات بقى؟ إنتِ أحلى من غيرهم.

– العدسات عشان متأثرش على عنيا.. حاجز يعني.



– خايفه مني؟

نظرت له مبتسمة ثم اقتادته خارج الخيمة الصغيرة لباب يُخرجهم على الشارع الخلفي الهادىء مباشرة، وأمسكت بيده بقوة:

– خايفه عليك لو جيت للحق.

– متخافيش.

– ليه بقى؟

– لأني وقعت فعلًا.

ابتسمت في خجل غير متوقع منها بالنسبة لماجد فاندهش ثم قالت له:

– إنت راكن فين؟ مش هتعزمني على قهوة ولا إيه؟

– تحبي تروحي فين؟

– زي ما تحب.

كان يخامره شعورًا بالسعادة والفرحة عجيب جدًّا،وشعر بصدق غريب في صوتها وكلماتها.

اختار مقهى هادىء وجلس معها سعيدًا متعجبًا من هدوئها،ومن رائحة عطرها الفرنسي المميز فلورا باي جوتشي، وظل ينظر لها حتى جاء النادل:

– تشربي إيه؟

ضحكت:



- قهوة طبعًا، عالريحة.

- آه صحيح. إتنين قهوة من فضلك واحدة عالريحة، وواحدة مظبوط.

- تاخدي حاجة معاها؟

- لا ميرسي.

أشار برأسه للنادل ليذهب لإحضار القهوة فذهب.

شردت بعيدًا عنه بعينيها ولمعت في عينيها بعض الدموع.

- مالك؟

- مفيش بس عاوزه اعرف إنت بتحب مروة؟

- لا أبدًا.

- ولا يارا؟

- لا بردو عادي يعني تلاميذي وممكن تقولي أصحاب.

- إنت جيت تقابلني ليه؟ علشان موضوع وكيل النيابة والجرايم ولا علشان حاجة تانية؟

- أنا جيت لك إنتِ ومن يوم ما شفتك بادوّر عليكي وسألت يارا كتير مرضيتش تقوللي الا بعد الجرايم ما حصلت لكن أنا كنت متأكد إنك بريئة، ومستحيل تعملي حاجة زي دي.

- زي إيه؟



- زي الاشتراك في جرايم قتل والتحريض عليها.

- هتبلغ وكيل النيابة عني؟

- لا طبعًا.

- طب افرض طلعت مش بريئة؟ مش تبقى إنت كمان شريك في الجرايم؟

شعر برعشة عندما قالت هذه الكلمات:

- بس إنتِ بريئة.

- أنا فعلًا بريئة، ومغفلة كمان.

عادت للشرود ثم جاءت القهوة فشربوها على مهل بلا كلام وقامت العرافة بسحب فنجانه، وقلبته على طبقه ليتصفى من القهوة ويتسنى لها القراءة.

- برافو يا.. آه صحيح إنتِ اسمك إيه؟

- قلتلك دلال.. انت بتنسي.

- مش قصدي يعني دلال اسمك الحقيقي؟

- آه والله تشوف بطاقتي.

- لا طبعًا اسمك حلو دلال.



ابتسمت له.. اقترب بيده من فنجان القهوة الموجود أمامها فلامست أصابعه يدها بعفوية فوجدها فرصة ليمسك يدها، لكنها سحبتها بعيدًا عنه:

– بلاش تتعلّق بيّا أرجوك.

– ليه؟

– من غير ليه.. انت فين، وانا فين مش انا قلتلك: الأصيلة للأصيل والغلا للغالين؟

– آه صحيح، إنتِ لهجتك مش بدوية اهي أمال إيه الكلام ده؟

– حركات عشان الشغل.

ابتسمت له فابتسم لها كطفل صغير.

رفعت فنجان ماجد من طبقه وصفته طويلًا ثم سمّت الله ونظرت فيه مليًا، وجمت واصفرّ لونها ثم وضعته جانبًا.

– خير إيه الحكاية؟

– حكاية إيه متصدقش ف الكلام ده.

– لا أرجوكي شفتي إيه؟

– حقيقي، ولا حاجة بس الفنجان رمى لي شعور بالكآبة فبلاش نقراه علشان ممكن يسبب حصول حاجة وحشة لا قدر الله.

– وحشة لمين ليّا ولاّ ليكي؟

– لأي حد فينا.

– خلاص بلاش متقربهوش.

– إنت عاوز تعرف إيه؟

– عاوز أعرف عنّي وعنّك أي شيء، أي أمل.

– أقول لك تاني: الأصيلة للأصيل، والغلا للغالين.

– إنتِ الأصيلة والغالية.

ضحكت كثيرًا بصوت عالٍ، فالتفت بعض الجالسين في المقهى الهادىء لهما.. فصمتت وقالت بصوت منخفض:

– إنت مجنون؟ دي تاني مرة تشوفني فيها بس.

– مش عارف عملتي فيّا إيه طيب ما إنتِ زي القمر وراسيه كده وفيكي سحر خاص، عرّافة بجد.

– عرافة؟ هي ليه الناس عاوزة تعرف؟ إيه المـُفيد في المعرفة؟ أجمل شيء في الحياة الغموض واختفاء حاجات كتير عننا بحكمة من ربنا علشان منعرفهاش، ليه بندور عليها؟

– الإنسان بيحب يتعب ويتعذب علشان العلم والمعرفة.

– مش كل المعرفة مفيدة، ولا كل العلم في سبيل الخير.

– إزاي بقى؟

– يعني العالِم اللي اخترع القنبلة استفاد إيه؟



- القنبلة سلاح للدفاع أو الهجوم المهم الإنسان هو اللي يحدّد إزّاي يستخدم السلاح ده.

- إنتَ صح لكن الشر هو اللي غالِب للأسف.

- سيبك م الكلام ده، وتعالي أعزمك عالعشا.

- لا أرجوك أنا اتأخرت قوي ولازم أروّح.

- علشان خاطري.

- ماجد، انت شاب طيب حقيقي مينفعش تتعلّق بيّا وأنا كمان مش عاوزه أتعلّق بحد،ساعات باحس إني عاوزه أبعد عن كل الناس بقيت باقعد عالنت كتير لكن بردو لقيت نفسي وسط الناس.

- عندك فانز كتير طبعًا.

- عندي بس حقيقي زهقت من كل شيء، ونفسي أبعد عن كل البشر.

- في حاجة ف حياتك ومش عاوزه تحكي لي عنها.

- حاجات كتير.

- ممكن نبقى أصدقاء؟

- يشرّفني طبعا.

- يبقى تتعشي معايا.

ابتسمت وهزت رأسها موافقة.

***



18

أعلنت مضيفة الطيران قيام الطائرة المتجهة للندن، وطلبت من ركابها ربط أحزمة الأمان والاستعداد لإقلاع الطائرة.

اقتربت المضيفة من سيدة جميلة في منتصف العمر قائلة:

– الدكتور دلال السيوفي؟

– أيوه.

– منوّرانا يا افندم، حضرتك كنتي ف مصر شغل؟

– إنتِ تعرفيني كويس ولا إيه؟

– في توصية كبيرة على حضرتك.

– من مين؟

– حقيقي معنديش فكرة بس كابتن الكرو هو اللي قالي، أهلًا وسهلا بيكي وإن شاء الله رحلة سعيدة، معاكي نانا سالم، أي وقت أنا تحت أمرك دكتور.



- شكرًا.

ربطت الدكتورة دلال السيوفي حزامها جيدًا على وسطها متوجّهة لبوكسهول حيث تسكن وتعمل هناك مع زوجها نبيل منير، أغمضت عينيها، وراحت تتذكر بداية تعارفهم.

جاءت من مصر لتكمل دراستها في علم النفس في بعثة مجانية للحصول على الدكتوراه في علم النفس.

كانت شابة طموحًا تحلم بالوصول لأعلى درجات العلم وتحدت ظروفها فلم يمنعها عملها بالسيرك مع أهلها حيث تربت من مواصلة تعليمها بالمدارس الحكومية في مصر، لكنها لم تنفصل لأهلها، واستمرت في العمل معهم حتى جاء يوم البعثة، فقررت السفر للندن، وهناك قابلت نبيلًا في الحدائق المعلقة بفوكسهول.

تزامن وجوده عندما كانت ترى المستقبل أمامها ممثلًا في تلك الحدائق، فكان نبيل يمثل لها المستقبل والعلم والحقيقة والتقدم للبشرية.

رأت نبيل كهذه الجسور الهوائية البيضاء الطائرة، وجدته رجلًا مميزًا بطعم الشاي الإنجليزي الفاخر والذي اعتاد أن يدعوها إليه في مقهى مونماوث أسفل الأقواس البيضاء والتي شبهته بها أول مرة.

لم يكن ذلك البطل الوسيم الذي تحلم به كل فتاة وامرأة عادية لكنها لم تكن عادية، لم تكن تبحث عن وسيم يبهرها جماله، بل كانت مبهورة بعقليته الجبارة وكيفية تحريكه للأحداث كما يريد.

تذكّرت لقاءاتهما المتكررة،وكيف كان يغرقها بكرمه ويدعوها للعشاء، كانت سعيدة بل في غاية السعادة عندما عرض عليها الزواج وكيف كان زواجهما ناجحًا رغم إصرار نبيل على تأجيل إنجاب الأطفال.

استعادت لياليهما الجميلة وابتسمت في مرارة.. لا تعلم كيف سيطر عليها تمامًا هذا الرجل وأقنعها بألعاب التخاطر.

كانت مبهورة به وبفكره كما كانت منذ صغرها تبحث في علوم النفس والبرمجة اللغوية العصبية وتقرأ في علوم الميتافيزيقيا وما وراء الطبيعة، أخذت بتجاربه وكيف كان يجعل من حوله كقطيع متأثر بفكره، أقنعها بقدرته على تغيير العالم بتجاربه في التخاطر والتحكم في العقول وإنهاء الحروب ثم جاء اليوم الذي قرر فيه أن يشركها في تجاربه وأفكاره:

– إيه رأيك في شغل ميداني؟

– يعني إيه؟

– يعني هتدخلي معايا تجربة نستخدم فيها الكلمات والصورة للتأثير على المستقبل بالإيحاء والجو المناسب لتقبّل الفكرة.

– هاعمل دور إيه؟

– مش مُتعب قوي، دور إنتِ متعوّدة عليه؟

– لاعبة سيرك ولا عرافة؟

– عرّافة طبعًا.



- فنجان ولا كف؟

- تاروت.

- نبيل التجارب دي فيها ضرر لحد؟

- احنا مش قاصدين الضرر بالعكس فيها خير.

- إزّاي؟

- يعني لما الخاين يتقبض عليه مثلًا في جريمة زنى، هل نبقى ظلمناه؟

- لا.

- لما الخاينة تتقتل هي، وعشيقها مثلًا أو تنتحر نبقى ظلمناها؟

- مش عارفة.

- لما نوحي لواحد إنه لازم يتخلّص من حياة باردة، ويستبدلها بحياة أفضل مش ده أحسن؟

- طبعًا.

- طيب هتشتغلي معايا، ولاّ أشوف واحده تانية؟

- واحده؟

- أيوه هو في بنت مصرية تلميذتي من مصر لها أهل هنا بس ضعيفة جدًا، ومستحيل تقدر تقوم بالدور ده، ومتنسيش إن ده هيساعدك تنضمّي معايا للمنظمة.



– أنا مش مرتاحة للمنظمة دي أصلًا.

– ليه بقى؟

– أولًا بيدوك فلوس كتير جدًا، ثانيًا لهم طرق غريبة في التواصل معاك وكأنهم مافيا، ثالثًا عندي إحساس عبيط إنهم عاوزين يسيطروا على العالم.

– هما عاوزين ينظّموا العالم مش يسيطروا عليه، ينهو الحروب والجرايم ويخلوا للعلم قيمة. افهمي بقى، وبلاش تحجّر مُخك ده.

– طيب حبيبي متزعلش.

– موافقة؟

– طبعًا.

وافقت على الدخول معه في لعبة لا تعرف لها بداية من نهاية، لم يخطر ببالها أن تتسبب كلماتها في هذا الكم من الجرائم، بكت كثيرًا عندما علمت بانتحار جو، لم تقصد بكلماتها التي ألفها نبيل أن تجر به نحو الانتحار، لكن هل كان نبيل يخطط لذلك فعلًا،وهل راقته النتائج وستروق لمنظمته التي تريد السيطرة على العالم؟ تتذكّر يوم جاءها مستبشر الوجه وأخبرها بأن هناك زميلًا له في المعهد يلاحظ اهتمامه بالتخاطر وعلوم الطاقة وأبحاث الريكي، وأنه دعاه للانضمام لمنظمة ترعى كل ما هو جديد في البحث العلمي، وتسعى للسيطرة على العالم بالعلم والنظام، كانت فرحته يومئذ لا تقدر بثمن فها هو حلمه يتحقق ويجد من يتبناه.

كانت أهداف المنظمة حيادية لا صلة لها بالخير أو بالشر فكانت تعرض عليه مشروعات يوجه فيها الأفراد نحو الحصول على جوائز معينة والنجاح في مجالات ما،وكذلك توجه أشخاص آخرون نحو ارتكاب الجريمة وتسبب لهم المرض النفسي والعضوي، لكنه لم يخبر زوجته بالجانب المظلم في المنظمة والتي علمته عندما شاهدت الجرائم بعينها، ودعاها للانضمام لهم كثيرًا فهي أيضًا عالمة ممن يهم المنظمة الحصول عليهم.

المنظمة تعتمد على وجود أعضاء لها بجميع أنحاء العالم ولا يعلم أعضائها مؤسسيها الأصليين، وهي تعتمد على نشر ديانة وثنية جديدة في العالم بأكمله وتركز على العالم العربي لما به من صراعات ومشاحنات دينية وطائفية وهي ديانة الويكا والتي راحت دلال تبحث عنها وعرفت أنها تتخذ من النجمة الخماسية الموجودة داخل دائرة شعارًا لها؛ مما جعلها ترتاب بهم وتخشى نبيلًا وجنونه.

لم يهتم نبيل بهذا الجزء، فكان كل ما يهمه المال والشهرة والنفوذ والمكانة العلمية.

والويكا هي أشهر ديانة وثنية جديدة، حيث تم إشهار الويكا في سنة 1954 على يد "جرلد غاردنر"، وهي الآن موجودة في العديد من دول العالم.

ادّعى جرلد غاردنر أن الويكا هي استمرار لديانة سحر التي استمرت بالسِر لمئات السنين، رجوعًا إلى الوثنية ما قبل المسيحية في أوروبا، لهذا فإن الويكا تسمى أحيانًا بالديانة القديمة. لكن لا يمكن إثبات هذه الادعاءات



بشكل موضوعي، ويظن المؤرخون أنه تم تجميع ديانة الويكا في فترة ما بعد العشرينيات، ومنذ ذلك الحين تفرّعت الويكا عدّة تقاليد وتُوصف تلك التي حافظت على تعليمات غاردنر بالكامل بـــالويكا الغاردنيرية.

شهدت الويكا مع الوقت تحوّلًا أكبر نحو العلنية بعدما كانت شبه سرية وبعض أسرار الويكا لا تزال سرًّا، ولا يعرفها إلا من تم قبوله في صفوف الويكا. تختلف المناهج بين تقليد ويكي وآخر وهناك أيضًا أقسام من الويكا التي لا تؤمن بمنهج معين. والويكا هي دين غير هرمي ويمكن لأي شخص اعتناق الويكا من دون الحاجة لأي إثبات على الانتماء إلى مؤسسة دينية للويكا.

ويعود اسم هذه الديانة من "wicce" من اللغة النرسية وتعني "شخص حكيم"، ولكن يرجع البعض إلى الاستخدام الإنجليزي القديم "wicca" وتعني الساحر أو مشعوذ، أو كلمة "witan" من الإنجليزية القديمة ومعناها حكيم أو حكيمة. من معتقدات الويكا عبادة إله وإلهة. يُعرف عن الويكا أنها لا تعطي أهمية كبيرة للحياة الثانية، وتركّز بدلًا من ذلك على الحياة الحالية. ويصف المؤرّخ رونالد هاتون ذلك بالقول إن "الموقف الحدسي لمعظم أتباع الويكا هو أنه إذا قام الإنسان بأفضل ما في وسعه خلال هذه الحياة في جميع المجالات، فهو سيستفيد من ذلك خلال الحياة الثانية بشكل أو بآخر، لذلك من الأفضل أن يركّز على الحاضر. يؤمن غالبية أتباع الويكا بالقدرة على التأثير على العالمين المادي والروحي عبر السحر لكن مفهومهم له يختلف كثيرًا عن المفهوم الشعبي السائد حوله.



بعض تقاليد الويكا تعتبر أنه لا يمكن للفرد أن يمارس السحر إلا بعد إنهاء تدريبه الرسمي على يد معلّميه الذي يمكن أن يتراوح بين سنة ويوم واحد وعدّة سنوات.

ويقوم أتباع الويكا بالسحر عبر استعمال التركيز الذهني والكلمات والطقوس والرموز وأحيانًا مع بعض الأدوات الأخرى مثل السكين الشعائري والمرجل والكريستال والأعشاب، ويكون هدفه عادة هو الشفاء، الحماية من التأثيرات السلبية، الخصوبة والنجاح في الحياة الشخصية. (5)

لم تكن دلال تعلم شيئًا عن الويكا، ولا عن معرفة نبيل بنشاطات وأهداف المنظمة سوى بعد بحثها عنها في الإنترنت وسؤالها لأصدقائها في مصر، ولندن بعد ارتيابها بهم عندما تمت الجرائم من خلالها كوسيط إيحائي. عادت من مصر بحزن هائل وقرار نهائي بترك نبيل ومنظمته وكل ما يتعلق بها. ربما انها تأثرت بماجد ومالت له وأحبت براءته وتعلقت به في أثناء لقاءاتهم المتكررة بمصر، وربما أنها خافت عليه من الأذى فتركته لكنها لا تعلم سوى أن قرارها هذه حتمية ووجب عليها تنفيذها فور وصولها لندن.

***



19

بحث ماجد كثيرًا عن دلال، ذهب للسيرك مرّات عديدة، وأخبروه أنها هربت، ولن تعود فمن يهرب لا يدخلونه بينهم مرة ثانية.

في المرة الأخيرة التي ذهب ليسأل عنا قابله ذلك الأصلع القوي، وهدّده بأن يدخله قفص الأسد إن سأل عنها مرة أخرى.

لم يستطع ماجد أن يبوح لصديقه وكيل النيابة بأي شيء عن دلال، وأغلق التحقيق في القضايا الثلاث، وتم تقييدها ضد مجهول.

ذهب لزيارة يارا فوجد حالتها سيئة، ولم يستطع التواصل معها بأي طريقة.

في داخل عقل يارا كان نبيل يرسل لها رسائل تهديد رغبة منه في أن تظل صامتة تمامًا، كان يستخدم التخاطر القوي لفعل ذلك، كانت تشعر بأنها تحيا في دوامة من الوهم فهل كل ذلك وهم وخيالات تخيلتها أم أن نبيل فعلًا يحاول جعلها تصمت فأصابها بالمرض؟ الهلاوس والهذيان ازداد



معها، وكانت تبكي كثيرًا في صمت مما جعل حالتها النفسية تسوء أكثر وأكثر.

عاش ماجد في دوامات من الحزن والفشل واليأس حتى كان يومًا ما اتصلت به يارا وكان غير مصدق:

– آلو ماجد، تعالى فورًا أرجوك.

– إنتِ بتتكلمي.. ألف مبروك.

– مش وقته باقول لك تعالالي المستشفى حالًا.

استقل سيارته وذهب من فوره لمستشفى الأنجلو أمريكان حيث يارا محتجزة في جناح خاص بها. ازدادت ضربات قلبه وشعر بأن يارا لديها الكثير لتقصه عليه مما يمكنه المعرفة عن دلال ومكانها. طرق باب الغرفة الخاصة بيارا ثم دخل.

– حمد الله ع السلامة يارا.

– الله يسلمك ممكن تقعد، وتسمعني بس؟

– طبعًا اتفضلي.

قصّت له حكايتها بالكامل مع نبيل وكيف استغلها للحصول على معلومات لتجاربه، لم يصدق في بادئ الأمر، لكنها أقسمت له وشدّدت عليه ضرورة إبلاغ الشرطة:

– لازم تبلّغ البوليس، والنيابة كمان.



- طب وإيه الفايدة، وهو ف لندن؟

- يبقى لازم تروحله هناك وتجيبه من قفاه.

- تفتكري عمل حاجة ف العرّافة علشان متتكلّمش؟

- ممكن جدًّا ده مجرم.

- معاكي عنوانه هناك؟

أيوه طبعًا وعنوان شغله.

- وإنتِ ازاي تعملي كده، وتسلميله نفسك كمان؟

- مش وقت عتاب حقيقي، من فضلك.

- طيب أنا هاعرف أجيبه من قفاه الحيوان ده.

- هتعرف تلاقي فيزا؟

- لا سهلة الحاجات دي متشيليش هم السفارة تبعنا.

- ربنا معاك، وبابا كمان ممكن يساعدك.

- طيب هاسيبك دلوقتي، خلّي بالك من نفسك.

- متخافش، أنا عرفت أقفل عقلي، ومنافذ الطاقة عندي زي ما هو علّمني، وبطّلت أفكّر فيه، ومش باستقبل منه أي أفكار وإن شاء الله ربنا يساعدني واخف وابقى كويسة.

- إن شاء الله خلّي بالك من نفسك.



– ماجد.. هو انا كده شريكة في الجرايم دي ولا فاعل أصلي؟

وجم ماجد فقد كان يعتقد كذلك مثلها أنه شريك، وفاعل أصلي فقد اندفع في غرامه، وانجذابه للعرافة ولم يبلغ عنها في وقت كانت موجودة، ولكن هل للعرافة صلة بنبيل وما هي؟ هل قتلها ليتخلص من المعلومات التي تعرفها؟ هل هناك علاقة بينه وبينها لا تعرفها يارا؟

***

جلست دلال مع نبيل في شقتهم بيوكسهول يتناقشون، وكان نبيل يرفض أمر الطلاق تمامًا، واحتد على دلال:

– إنتِ بتهرجي يا ماما هو اللي بيني وبينك جواز بس، وبعدين إيه الحكاية إنتِ حبّيتي ماجد بيه ولا إيه؟

– لا أبدًا. أنا بس مش عاوزة أكون جزء من لعبة مش فاهماها وجايز تسبب شر.

– شر؟ مش شرط ما هو ماجد أهو مجرالوش حاجه.

– أكيد إنت قاصد ده علشان تخلّيه يشُك ف الفكرة كلها.

– لا بقيتي شطورة اهو وبتفهمي.

– عندك حق، أنا غبية فعلًا علشان سبتك تسيطر عليّا.

اقترب منها نبيل ثم جذبها من شعرها بعنف:



- وهافضل أسيطر عليكي ولو زودتيها هاخلّص عليكي خالص، ومحدّش هيعرفلك مكان.

تعالى صراخ دلال، واختلط مع دقات جرس الباب، فانتبه نبيل لها وتعجّب:

- إنتِ مستنية حد؟

- لأ شوف مين.

فتح نبيل الباب، وكانت دلال تجلس على الطاولة في مواجهة الباب، فرآها ماجد،وكان هو الطارق ثم دخل وتوجّه نحوها، كانت آثار الشجار، والبكاء على وجهها:

- هي إيه الحكاية بقى؟ إيه اللي جاب دلال هنا؟

نظر له نبيل في نصر:

- ماجد بيه، أهلًا وسهلًا، جيت هنا برجليك يا بطل، أحب أعرّفك المدام دكتورة دلال أستاذة علم النفس، وربيبة السيرك.

امتلأ ماجد غيظًا وحنقًا:

- يعني كنتِ بتخدعيني؟

- صدقني أنا كنت مجبرة ولسه باتخانق معاه عشان عاوزه أطلع من اللعبة دي، واطلّق منه.. ده مش بني آدم.



مال نبيل على الطاولة التي كان يجلس فوقها بجوار دلال وضغط زرًا صغيرًا، ثم التقط من درج الطاولة مسدسًا مزوّدًا بكاتم للصوت، وصوّبه نحو ماجد:

– جيت لقضاك يا حبيبي.

انطلقت الطلقة بعيدًا عن ماجد الذي تفاداها بانحناءة سريعة نحو اليسار ثم انقض على نبيل:

– إنت إيه مجنون ولاّ مجرم ولاّ الاتنين؟

– الاتنين يا حبيبي.

– إنت إزّاي تعمل ده كله، ولصالح مين؟

تملّص نبيل من يده مُمسكًا بالمسدس، ثم صوّبه نحو دلال، وانطلقت الطلقة لتستقر فِي قلبها تمامًا لتُفارق الحياة فورًا.

– خلّصتك منها حبيبة قلبك،وهاخلّص عليك عشان تحصّلها، ويفضل العالم كله ملكي.

– إنت اللي لازم تنتهي ودلوقتي.

هجم عليه ماجد، والتقط المسدس من يده وصوّبه نحو رأسه، ودمّر جمجمته الصغيرة تمامًا، وانطلقت الدماء من رأسه المنفجرة كالنافورة، وتحجّرت عيناه رعبًا، وعدم تصديق، وسقط ميتًا.



فُتح الباب عن رجلين بملامح إنجليزية مميّزة، وقال أحدهم بالإنجليزية الأصلية:

– لا تقلق فكل شيء سيكون على ما يرام،يمكنك الآن المغادرة لبلادك بأمان.

رد عليه ماجد:

– من أنتم؟

– نحن أصدقاء نبيل، ومواطنين، ويُمكننا التصرف بلا شوشرة فلو تدخّلت الشرطة لن تعود لبلادك أبدًا.

تركهما ماجد ثم عاد لهما:

– هل يمكنني الحصول على جثة دلال؟

ابتسم أحد الرجلين قائلًا في حدة:

– أرجو منك مغادرة البلاد فورًا، بل أن تنسى كل ما شاهدته هنا فذلك أفضل لك كثيرًا.

انسحب ماجد في هدوء مغادرًا إنجلترا لمصر، وشعر بمزيج من الراحة للتخلّص من نبيل وشروره، والحزن لموت دلال بهذه الطريقة فقد أحبها حقًا.

***

20

بعد مرور عدة أشهر على هذه الأحداث قرأ ماجد خبرًا في جريدة ما عن ديانة جديدة تسمى الويكا، ومحاولات لنشرها، والسيطرة على العالم من خلالها فابتسم في سخرية:

– نفسي أعرف اللي عاوزين يسيطروا عالعالم دول هياخدو إيه.

دق جرس هاتفه المحمول، وكانت صديقة شابة تدعى شاهندة تدعوه لحفل صاخب في منزلها وجلسة تاروت.

لم يوافق بالبداية فقد تذكّر جميع الأحداث الماضية، ولكن شعر بفضول غريب فذهب للحفل، وهناك رأى العرّافة جالسة أرضًا، لم تكن تشبه دلال، ولكن كان في يدها رزمة أوراق خبيثة، دخل ماجد الغرفة واجمًا، ثم نظر للعرافة قائلًا كلمات تي إس اليوت:

"على المرء أن يكون حذرًا هذه الأيام".

جلس على الأرض بين المدعوين ثم لاحظ توترهم وراحت العرافة تفعل تقريبًا نفس ما فعلته دلال من قبل لكن استوقفها ماجد،وتذكّر قانون العقوبات المادة 39 و40:



يعد فاعلًا للجريمة:

أولًا- من يرتكبها وحده أو مع غيره.

ثانيًا- من يدخل في ارتكابها إذا كانت تتكون من جملة أعمال فيأتي عمدًا عملًا منه الأعمال المكونة لها.

ومع ذلك إذا وُجدت أحوال خاصة بأحد الفاعلين تقتضي تغيير وصف الجريمة أو العقوبة بالنسبة له، فلا يتعدّى أثرها إلى غيره منهم، وكذلك الحال إذا تغير الوصف باعتبار قصد مرتكب الجريمة أو كيفية علمه بها.

أما المادة (40) فتقول:

يعد شريكًا في الجريمة:

أولًا- كل من حرض على ارتكاب الفعل المكون للجريمة إذا كان هذا الفعل قد وقع بناء على هذا التحريض.

قرّر أن يترك الجلسة ثم عاد مرة أخرى ليجلس، ويراقب ما ستفعله العرافة ووجدها تخبرهم بالطالع في صورة شعرية عجيبة تُشابه ما فعلته دلال، وتُحرّضهم بالفعل لارتكاب جرائم، تذكّر تحذيرات دلال له والتي عنت موت عزيز عليه، هل كان ذلك العزيز هو دلال نفسها ولم تكن تعلم؟ هل التحذير كان عن موت دلال وهل تعمد نبيل قتلها أم أن الوهم اختلط بالتخطيط، وربما كانت رغبة في عقل نبيل الباطن بقتل دلال لم



يعلم نبيل نفسه بها؟ جاء دور ماجد فاستيقظ من أفكاره ووجد نفسه يردد كلمات إليوت:

"على المرء أن يكون حذرًا هذه الأيام"، ثم أخبر العرافة أنه لا يريد قراءة طالعه وعليها أن تقرأ لمن هو يليه.

***



الإشارات المرجعية

- قصيدة الأرض الخراب لـ تي إس إليوت

***

- بافوميت: اختلف الكثير من المؤرخين والباحثين عن مصدر أو أصل هذه الكلمة (بافوميت). وهو اسم غير واضح. ويبدو أنه مزيج من كلمتين من اللغة اليونانية (باف) و (ميتس)، وتعني باللغة العربية: "استيعاب المعرفة". كما أطلق على بافوميت اسم "عنزة منديس" و"الماعز السوداء". وقد اختاروا الماعز لاعتقادهم بأن هناك ارتباطًا كبيرًا بين الماعز وإله الخصوبة. فعند الرومانيين والمصريين الاغريق في العصور القديمة كانوا يربطون الماعز بشكل مباشر مع خصوبة الإنسان. كما أن اليونانيين كانوا يعبدون الأصنام ذات الصلة بشكل الماعز تقربًا لله من أجل الخصوبة!

ويتميز بافوميت برأس الماعز وعليه القرنان الذين يدلان على القوة الجنسية، بالإضافة لوجود أثداء له تدل على اتحاد الرجل بالمرأة. وقد قام بإحياء ذكراه الملحد الشهير إليستر كرولي حين قال: (الشيطان غير موجود.. بافوميت يرمز إلى الشهوة والتحرر.. إنه يقول لنا: إن نفعل ما نحب وما نشتهي. إن بافو ميت لهو الدليل الأول والأهم والفريد على أن الماسونية أو الماسونية النورانية هي من عبادة الشيطان! بل أكثر من ذلك وبكل وضوح... هو الدليل على أنهم يؤمنون إيمانًا قويًا بألوهية الشيطان. ويمكنك أن ترى هذا البافوميت منقوشًا أو عي شكل تمثال في جميع مبانيهم ومحافلهم،



بل تجده على شكل ملصقات على خلفيات سيارات عبدة الشيطان للتعريف بأنفسهم بين بعضهم البعض.

***

- المعمار القوطي:

العمارة القوطية هي مرحلة من العمارة الأوروبية التي تميزت بأشكال هيكلية مميزة وبتعبيرية جديدة في أواخر القرون الوسطى وبخاصة من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي إلى نحو عام 1400. نشأ اسم قوطي مع مثقفي النهضة الإيطالية المعروفين بالإنسانيين، وينسب إلى قبائل القوط الجرمانية التي اجتاحت إيطاليا في القرن الخامس الميلادي. ويعتبر الإنسانيون فن القرون الوسطى من إنتاج القوط.

***

مراجع مستخدمة في العمل من الإنترنت:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A9_%D9%82%D9%88%D8%B7%D9%8A%D8%A9

https://plus.google.com/107326993833984668925/posts/hUwQyxbDZfV

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D9%8A%D9%83%D8%A7

http://old.qadaya.net/node/245



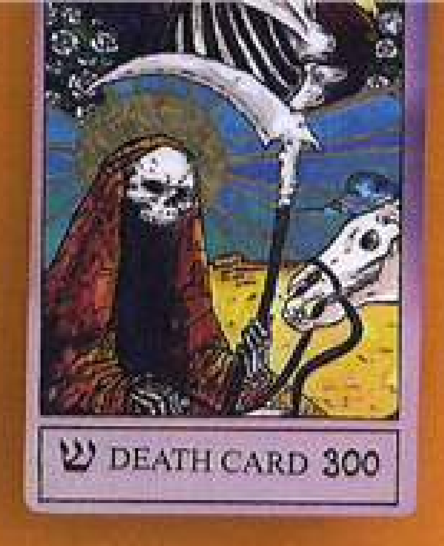
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%8A%D9%81_%D8%AA%D8%B5%D9%86%D8%B9_%D9%85%D8%B1%D9%8A%D8%B6%D8%A7_(%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8(

http://www.alweeam.com.sa/257222/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D8%B3%D9%81%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AA%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%A7%D9%85%D8%AA-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%81-%D8%A5%D9%84%D9%89/

http://uk.iacworld.org/telepathy/

https://www.sheldrake.org/research/telepathy/a-rapid- online- telepathy- test

***



ومد يده ليكشف البطاقة لكن بادرته العرافة وسحبتها من يده بلطف، وكشفت عن وجهها، كانت بطاقة عجلة الحظ وكتب عليها بالإنجليزية: WHEEL OF FORTUNE وكانت بطاقة ملونة تتوسطها دائرة تمثل عجلة الحظ وبداخلها دائرة أصغر تشبه عجلة الرواليت ومقسمة لمثلثات عدة للحظ والخلفية زرقاء بها أربعة كائنات صفراء مجنحة، يقرأ كل منهم في كتاب. الدائرة يحملها شيطان أحمر ويدور حولها ثعبان أصفر ويعلوها كائن يشبه أبا الهول. نظرت لها العرافة في خبث ثم نظرت لماجد:

كل شيء ما بيضل ع حالو

المد والجزر للموج زي الحياة والموت

مطلوب تعيش ف سكوت

ما تموت مع الي يموت

ولا تلتفت للناس مهما في يوم قالوا.

وجم ماجد قليلًا، وبدا عليه القلق فقد شعر بأن كلمات العرافة تذير شؤم، وأنها قد تشير لموت أحد قريب منه



كريمة الشريف

روائية مصرية

تعد رواية تاروت أول رواية لها.

COVER DESIGN BY AHMED FARAG



دار اكتب ... النشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الطحان من ش ... منصور المرج الغربية - القاهرة - مصر

E-mail : daroktob1@yahoo.com

01111947957